

بسم الله الرحمن الرحيم

شرف - إخاء - عدل

الجمهورية الإسلامية الموريتانية

وزارة التهذيب الوطني والتكوين المهني

المعهد التربوي الوطني

التربية الإسلامية

للسنة الثانية الإعدادية

المؤلفون:

مفتش تعليم ثانوي

محمد عبد الودود ولد حيبيل

أستاذ بالمعهد التربوي الوطني

بداه ولد محمد

مستشار تربوي

التجاني ولد أحمد سالم

المعهد التربوي الوطني

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على نبيه الكريم

تقديم

زملائي الأساتذة أبنائي التلاميذ.... يتشرف المعهد التربوي الوطني أن يقدم لكم كتاب التربية الإسلامية للسنة الثانية الإعدادية، وقد أعيد تأليفه طبقا للبرامج الجديدة، ووفقا لمقاربة الأهداف التي تسعى إلى أن يبلغ التلميذ الغايات المرسومة للدرس والمقرر بشكل عام.

والكتاب - وإن استفاد من الكتاب الأول- فإن جهدا علميا جديدا- لا يخفى- قد بذل ؛ مما يجعله حلقة أكثر تطورا، في إطار المراجعات المستمرة للمقررات والمقاربات التربوية المتبعة في تأليف الكتاب المدرسي في بلادنا، يتجلى ذلك في أسلوب بناء موضوعاته، وأهداف تدريسه، خاصة أنه نهج مقاربة تربوية قد جربت، هي مقاربة الأهداف، وأعادت المناهج الجديدة الثقة فيها، باعتبارها الطريقة المثلى للتدريس في هذه المرحلة من الدراسة.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشكر كل من سعى بجهد في إنجاز هذا الكتاب، تأليفًا وتدقيقًا، وأخص بالشكر الفريق الذي سهر على عملية التأليف والتدقيق، والمؤلف من السادة:

المؤلفون:

- محمد ولد عبد الدود ولد حبيب، مفتش تعليم ثانوي.
- بداه ولد محمد، أستاذ بالمعهد التربوي الوطني.
- التجاني ولد أحمد سالم مستشار تربوي

المدققون:

- د/ سيدي محمد سيدنا، رئيس قسم النشر والتدقيق اللغوي بالمعهد التربوي الوطني.

والله ولي التوفيق، والهادي إلى سبيل الرشاد

المدير العام:

الشيخ ولد أحمدو

المعهد التربوي الوطني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

■ مقدمة ■

زملاؤنا المدرسين

يسر المعهد التربوي الوطني أن يقدم لكم الطبعة الأولى، من كتاب التربية الإسلامية للسنة الثانية الإعدادية، المؤلف وفق البرنامج الجديد الذي اعتمدته وزارة التهذيب الوطني بعد إعادة كتابة البرامج الوطنية خلال سنتي (2016 - 2017) والتي أريد لها أن تكون مادة للطالب وسندا للمدرس في سبيل تحقيق مهمته النبيلة بتربية وتنشئة جيل يُحسُّ انتماءه الديني ويحرص على تعلم ما يجب عليه معرفته شرعا مما لا قيام لدينه بدونه.

وَاتَّبَعْنَا فِي ذَلِكَ مَنَهِجِيَّةً تَقُومُ عَلَى مُنْطَلَقِ نَصِي غَالِبَا نَشْرَحُهُ وَنَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُسْتَنْبِطَةِ مِنْهُ، مُقْتَصِرِينَ أَوْ مُخْتَصِرِينَ لِنَصِلَ إِلَى اسْتِخْلَاصِ أَوْ خِلَاصَةِ تَوْجِزِ الدَّرْسِ.

ولا يفوتنا هنا أن نشمّن جهود من سبقونا إلى هذا العمل، فعبدوا لنا الطريق، وأناروا لنا السبيل، فبنينا على جهودهم، وأردنا بذلك كسب ودهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والصدر رحب لملاحظاتكم للاستفادة من خبراتكم آمليّن أن تستعيد المنارة الشفقية تألقها فيزداد تعلقها بالخالق الرازق.

أبناءنا التلاميذ

إن هذا الكتاب ينبغي أن لا ننظر إليه من زاوية كونه كتاباً مدرسياً مقرراً في سنة دراسية معينة فَنَقْصِر النظر ونطمس الأثر، بل هو زيادة على ذلك كتاب يضم نصوصاً قرآنية وأحاديث نبوية وأحكاماً شرعية توجب التعامل معه بطريقة خاصة تحترمه وتصوره من كل ما لا يليق بقديسيته وشرف ما بين دفتيه.

فقد يُحتاج إليه بعد التجاوز لأن الاستفادة منه لا تختص بالتلميذ والمدرس ولا بالمرحلة المقرر لها، فيُرجى له أن يكون مُيسراً مُيسراً ملائماً للمتعبّل عن البحث في الأحكام بشكل مفصّل.

والله الموفق للصواب وعليه الاتكال.

المؤلفون

المعهد التربوي الوطني

الدرس الأول - الإسلام - الإيمان - الإحسان

المنطلق: (حديث جبريل)

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال: صدقت فعجبنا له يسأله ويصدق، قال: فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسول أعلم قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» رواه مسلم.

شرح الكلمات والعبارات:

أن تلد الأمة ربتها:	كناية عن فساد الحال (وعن كثرة السراري لأن ولد الأمة ابن لسيدها).
الحفاة:	جمع حاف، وهو غير المنتعل، كناية عن الفقراء.
العراة:	جمع عار، من لا ثوب عليه.
رعاء الشاء:	جمع راع، وهو من يرعى للناس مواشيهم.
يتطاولون في البنيان:	يبسط لهم في الرزق فيتطاولون في البنيان.
فلبثت مليا:	مكثت وقتا أو فترة.

التعليق:

يعرف هذا الحديث بحديث جبريل وسنتحدث عنه خلال المحاور التالية:
أ - هيئة جبريل:

أراد جبريل أن يوضح أركان الإسلام والإيمان والإحسان، فحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة رجل أنيق لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد من الحاضرين، الشيء الذي أثار استغرابهم، ثم بدأ يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان، وعن قيام الساعة، وكلما أجابه النبي صلى الله عليه وسلم عن مسألة يقول له صدقت، فتعجب الحاضرون من ذلك لأن من عادة السائل أن لا يسأل عما يعلمه وهذا كلام العارف بالمسؤول عنه، ولم يكن في ذلك الوقت من يعلم هذه الأمور غير النبي صلى الله عليه وسلم.

ب - مفهوم الإسلام والإيمان والإحسان:

- الإسلام : مفهوم الإسلام مفهوم شامل لكل أعمال البر من النطق بالشهادتين وإقامة الصلاة على أتم صورة وخشوع، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً إضافة إلى اجتناب ما نهى الله عنه من المحرمات.

- الإيمان : أن يؤمن المسلم بالله ويتوكل عليه ويسأله حاجته ويعلم أنه هو النافع وهو الضار، ويعتقد أنه متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص، ويصدق بالملائكة وبالرسل وبالكتب المنزلة عليهم، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْإِيمَانُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِنَ الْمَوْعُودِ كُلِّ - آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (سورة البقرة، 285) ويصدق بيوم الجزاء ويؤمن بالقدر خيره وشره وينسب المقادير لله تعالى.

فالإيمان إذن عقيدة ثابتة في القلب تقتضي توحيد الله وتعظيمه والخوف منه ورجاءه، والإسلام ثمرته انقياد لله وامتنال لأوامره واجتناب لنواهيه، فالإسلام والإيمان متكاملان ولا يغني أحدهما عن الآخر.

- الإحسان: هو إخلاص العمل لله تبارك وتعالى وإتقانه، فيعبد الإنسان ربه ويتمثل أنه واقف بين يديه، وأنه يراه قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (سورة آل عمران، 5) فيدفعه ذلك إلى إخلاص العمل له وخشيته فيحفظ القلب والجوارح ويراعي الأدب في العبادة فينال بذلك سعادة الدنيا والآخرة.

ج - علامات الساعة:

علم الساعة من مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة لقمان، 34).

ولكن جبريل عليه السلام لما نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم بها طلب منه أماراتها، فبين له أن من علاماتها أن يفسد حال الناس ويشيع العقوق فتعامل البنات أمها معاملة السيدة للمسودة في الاستخدام والإهانة والسب، ومن أماراتها أن يبسط الله في الرزق للفقراء من الناس ومن كانوا حفاة عراة فيتباھون في التناول

في البنيان، إلى غير ذلك من العلامات التي وردت في الأحاديث النبوية ككثرة القتل وانتشار شرب الخمر والزنى والمعازف...

استخلاص:

- 1 - أن الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.
- 2 - أن الإيمان هو التصديق الجازم بوحداية الله تعالى وباتصافه بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص، والإيمان بوجود الملائكة والتصديق بالكتب السماوية وبجميع الرسل وباليوم الآخر والرضا بما شاء الله وقدر خيرا كان أو شرا.
- 3 - أن الإحسان هو شعور المؤمن دائما بأن الله تعالى يراقب جميع أعماله فيتجنب ما حرم عليه، ويجتهد في أداء ما افترض عليه على أتم صورة وأحسن هيئة.
- 4 - أن الإسلام والإيمان والإحسان ثلاثة مقامات تتكامل وتشكل بمجموعها الدين الإسلامي.
- 5 - أن الله وحده يعلم متى تقوم الساعة، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا في الحديث عن بعض أماراتها.

المناقشة:

- 1 - صف الهيئة التي جاء عليها جبريل عليه السلام وبين أثرها في نفوس الحاضرين.
- 2 - ما معنى (أن تلد الأمة ربثها)؟ ومن هم الحفاة العراة...؟
- 3 - ما الأمر الذي أحجم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإجابة عنه؟ ولماذا؟
- 4 - هل يعني الإسلام عن الإيمان؟ أو العكس؟

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ۚ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ ۚ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِسْرَاءِ ۚ﴾ سورة الإسراء.

10

وَإِذَا تَمَرُّهَا كَالْقَلَالِ ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أَمَّتْكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أَمَّتْكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، حَقَّفَ عَلَيَّ أَمَّتِي، فَحَطَّ عَلَيَّ خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَلَيَّ خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أَمَّتْكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، قَالَ: فَلَمْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ ، قَالَ: فَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمًا.

شرح الكلمات والعبارات:

الإسراء : السفر ليلا.

المسجد الأقصى: هو أولى القبلتين والثالث بعد الحرمين الشريفين.

التعليق:

1- مفهوم الإسراء والمعراج:

يراد بالإسراء تلك الرحلة التي صحب فيها جبريل عليه السلام محمدا صلى الله عليه وسلم ليلا بالبُرَاق من البيت الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس.

ويراد برحلة المعراج صعود جبريل بمحمد صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس إلى السماوات العلى.

وقد أكرم الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم برحلة الإسراء والمعراج؛ ليؤنسه ويريه منزلته عنده، وليبدأ صلى الله عليه وسلم بها مرحلة جديدة في الدعوة إلى الله تعالى.

2- ثبوت الإسراء والمعراج:

الإسراء والمعراج ثبت وقوعهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم، وبالسنة النبوية، وبشهادة الصحابة رضوان الله عليهم.

أما من القرآن الكريم فمُفتتحة سورة الإسراء يبين حادثة الإسراء، وأما من السنة فحديث الإسراء والمعراج الذي أخرجه مسلم عن أنس بن مالك الذي رواه ثمان وثلاثون صحابيا، بعضهم ذكره مطولا، وبعضهم ذكره مختصرا، وبعضهم زاد جوانب لم تذكر عند الآخرين وقد قال القاضي عياض « لم يأت أحد بأصوب من هذا الحديث ».

وذهب جمهور علماء السلف والخلف من الفقهاء والمفسرين والمحدثين إلى أن الإسراء والمعراج كانا يقظة بالجسد والروح، فقد ذكرت الآية أن الإسراء كان بعبد الله محمد صلى الله عليه وسلم، وظاهر اللفظ يدل على هذه الحقيقة، ومن المعلوم أنه لا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند استحالة حقيقة الظاهر، ولا استحالة في قدرة الله أن يسري بعبد روحا وجسدا، فلزم أن يكون الإسراء بهما.

وسياق سورة الإسراء يدل على أن الإسراء متأخر جدا حتى أن بعض أهل السير يرى أن الإسراء كان قبيل بيعة العقبة الأولى أو بين البيعتين.

قال ابن القيم: «أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم، من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، راكبا على البراق، صحبة جبريل عليهما الصلاة والسلام، فنزل هناك، إماما وربط البراق بحلقة باب المسجد، وصلى بالأنبياء».

ثم أتى المعراج، وهو كالسلم، ذو دُرج يرقى فيها، فصعد فيه، إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السماوات السبع، فتلقاه من كل سماء مقربوها.

فسلم على الأنبياء الذين في السماوات، بحسب منازلهم ودرجاتهم، حتى مر بموسى الكليم في السادسة، وإبراهيم الخليل في السابعة، ثم جاوز منزلتيهما صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الأنبياء، وقد رأى ضمن هذه الرحلة أمورا عديدة:

- عرض عليه اللبن والخمر، فاختار اللبن، فقيل: «هديت الفطرة أو أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك».

- ورأى أكلة أموال اليتامى ظلما لهم مشافر كمشافر الإبل، ورأى أكلة الربا لهم بطون كبيرة، لا يقدرון لأجلها أن يتحولوا عن مكانهم، ورأى الزناة بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غَتّ منتن، يأكلون من الغث المنتن، ويتركون الطيب السمين ورأى النساء اللاتي يدخلن على الرجال من ليس من أولادهن معلقات بثديهن.

ورأى سدرة المنتهى والبيت المعمور ورأى الجنة والنار وفرض الله عليه هناك الصلوات خمسين صلاة -وهذا يدل على مكانة الصلاة وأهميتها-، ثم خففها الله إلى خمس في العدد، خمسين في الأجر رحمة منه ولطفا بعباده.

ورأى غيرا لأهل مكة في رحلتها، وقد دلهم على بغير ندّ لهم، وشرب ماءهم من إناء مغطى وهم نائمون، ثم ترك الإناء مغطى، وقد صار ذلك دليلا على صدق دعواه في صباح ليلة الإسراء.

قال ابن القيم: «فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومه أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، فجلاه الله له، فطفق يخبرهم عن آياته، ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئا، وأخبرهم عن غيرهم في مسراه ورجوعه، وأخبرهم عن وقت قدومها، وأخبرهم عن البعير الذي يقدمها وكان الأمر كما قال، فلم يزداهم ذلك إلا نفورا قال تعالى: ﴿فَأَبَى الْأَعْلَمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ ﴿٩٩﴾ سورة الإسراء، وسُمي أبو بكر رضي الله عنه

بالصديق لتصديقه هذه الواقعة حين كذبها الناس، وأوجز وأعظم ما ورد في تعليل هذه الرحلة هو قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَأَ﴾ سورة الإسراء الآية (1)، وهذه سنة الله في الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَكُوتٍ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ سورة الأنعام، وقال لموسى: ﴿لِنُرِيكَ مِنْ أَيْنَأَ الْكَبَرَى﴾ سورة طه، وقد بين مقصود هذه الإرادة بقوله ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ سورة الأنعام.

فبعد استناد علوم الأنبياء إلى رؤية الآيات يحصل لهم من عين اليقين ما لا يقدر قدره، وليس الخبر كالمعاينة، فيتحملون في سبيل الله ما لا يتحمل غيرهم، وتصير جميع قوات الدنيا عندهم كجناح بعوضة لا يعبأون بها إذا ما تدول عليهم بالمحن والشدائد».

استخلاص:

أولاً: الإسراء

ورد الإسراء في القرآن مخبراً عنه، وقد سمي الله سورة من القرآن سورة الإسراء لتضمنها خبر هذه المعجزة العظيمة التي بهرت العقول فانقسم المجتمع المكي ثلاث طوائف:

1- طائفة المؤمنين لما سمعت الخبر صدقت حيث أن أبا بكر قال حين أخبر «إن كان قالها فقد صدق إني أصدقه في أبعد من ذلك، إني أصدقه في خبر السماء فكيف لا أصدقه في خبر الأرض» وقد فسر بعض أهل العلم قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ سورة الزمر، أن الذي جاء بالصدق نبينا صلى الله عليه وسلم والذي صدق به هم الصحابة رضوان الله عليهم وعلى رأسهم أبو بكر رضي الله عنه.

2- طائفة ضعيفة الإيمان لم تستوعب المعجزة فارتدت عن الإسلام.

3- طائفة المشركين المستهزئين من قريش تلقفوا الخبر وظنوه مأخذاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا «نضرب أكباد الإبل شهراً ذهاباً وشهراً إياباً ويأتيه محمد[صلى الله عليه وسلم] في ليلة واحدة»؟، وطلبوا منه وصفه فوصفه لهم فلم يزداهم ذلك إلا كفراً وعناداً.

ثانياً: المعراج

وهو آية أخرى ومعجزة دلت على علو مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى، وهو ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة، حيث عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الأقصى إلى السماوات العلى فرأى من آيات ربه ما رأى فرأى عذاب بعض العصاة كالزناة والمغتائبين ورأى سدرة المنتهى، والبيت المعمور ورأى الجنة والنار ويمكن استخلاص العبر التالية من الإسراء والمعراج:

- أن الإسراء بيان لعلو منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله ولقدرة الله.

- أن الإسراء إشارة لنقل القبلية من المسجد الأقصى إلى بيت الله الحرام بمكة ولبدائية

مرحلة جديدة.

- كان الإسراء تمحيصا لإيمان المؤمنين وإظهارا لسفه غيرهم.

المناقشة:

- 1- ما المقصود بالإسراء والمعراج لغة واصطلاحاً؟
- 2- من أين كان الإسراء؟ وإلى أين؟ وما دلالة ذلك؟
- 3- كيف كان رد أهل مكة على حادثة الإسراء والمعراج؟

المعهد التزويدي الوطني

المنطلق:

قال تعالى: ﴿أَمَّا أَرْسُولٌ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ - آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ - لَا تَفَرُّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ - وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ (285)﴾ سورة البقرة قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُوْحَىٰ إِلَيْهِمْ فَتَلَوْنَا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ (7)﴾ سورة الأنبياء.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَ النُّجْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْقَرُونَ ۝ (20)﴾ سورة الأنبياء.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ (7)﴾ سورة غافر.

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْلًا أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ (6)﴾ سورة التحريم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ (18)﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝ (19) سورة الأعراف.

قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ (46)﴾ سورة المائدة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُقَاتِلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ (111)﴾ سورة التوبة.

شرح الكلمات والعبارات:

فَوَآءَ أَنْفُسِكُمْ : اجعلوا لها وقاية من النار بفعل الطاعات وترك المعاصي.

وَفُودُهَا : ما توقد به.

لَا يَفْقَرُونَ : لا يشغلهم عن التسبيح أي شاغل.

وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ : اجعل بينهم وبينه وقاية تمنعهم منه.

وَقَفَّيْنَا : أتبعنا.

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ : لما نزل قبله في التوراة والإنجيل.

1 - الملائكة:

أ- أوصافهم : الملائكة أجسام خلقها الله من نور لا تدرك بالحس ولا يعلم حقيقتهم إلا الله ولا يتصفون بذكورة ولا بأنوثة، ولهم القدرة على التشكل بأي صفة كما رأيت في حديث جبريل السابق «... إذ طلع علينا رجل...» وكما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (17) سورة مريم ، وهم مطهرون من الشهوات والميولات النفسية التي خلقها الله في البشر، مجبولون على الطاعات، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ أَثِيلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (20) سورة الأنبياء، معصومون من الذنوب والخطايا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (6) سورة التحريم.

ب - مهماتهم: من مهام الملائكة:

- تبليغ الوحي، وملكه جبريل عليه السلام، ويسمى الروح الأمين وروح القدس.
- كتابة أعمال العباد، قال تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ (10) ﴿كَرَامًا كَانِينَ﴾ (11) ﴿يَعْمَلُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (12) سورة الانفطار، وقال: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (18) سورة «ق».
- قبض الأرواح قال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوبُكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (11) سورة السجدة.

- سؤال الأموات وغشيان مجالس الذكر والاستماع لقراءة القرآن، والاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم بالخير قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ﴾ (7) سورة غافر، وغير ذلك مما يأمرهم به رب العزة.

2 - الكتب:

الكتب السماوية تعاليم ووصايا أنزلها الله على رسله عليهم الصلاة والسلام، فمنها ما صرح القرآن باسمه، كالتوراة لموسى والإنجيل لعيسى والزبور لداود والفرقان لمحمد صلى الله عليه وسلم، ومنها ما لم يصرح باسمه كصحف إبراهيم، وقد اتفقت هذه الكتب في العقيدة، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (25) سورة الأنبياء، وقال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (12) سورة الشورى.

أما الشرائع من عبادات ومعاملات ونظم اجتماعية فتنوعت من أمة إلى أخرى قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ عَمَّا جَاءَ لَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَسَبَّلُوكُمْ فِي مَاءٍ أَنْتُمْ فَاسْتَقِفُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنْزِلُكُمْ

بِمَا كُتِبَ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٤٨﴾ سورة المائدة، وقد حرفت هذه الكتب وبدلت إلا القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ ﴿٤٥﴾ سورة النساء.

أما القرآن فهو محفوظ من التبديل والتغيير قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿٩﴾ سورة الحجر.

3- الإيمان بالملائكة والكتب: يجب الإيمان بالملائكة وبجميع الكتب التي أنزلها الله على رسله عليهم الصلاة والسلام دون تفريق بينها، فالكل من عند الله يصدق بعضه بعضاً، ويدعو إلى توحيد الله وتعظيمه وإلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأمور، ويحذر من الكفر ومن عذاب الآخرة.

استخلاص:

- 1 - أن الملائكة مخلوقات خلقها الله من نور كما خلق الإنسان من طين والجان من نار، وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لا يعلم عددهم إلا الله، وهم مكلفون بمهام متعددة فمنهم أمين الوحي وحملة العرش وقبضة الأرواح وكتبة الأعمال، وفيهم من يتولى سؤال الأموات إلى غير ذلك مما يؤمرون به.
- 2 - أن الكتب السماوية تعاليم ووصايا أنزلها الله على رسله، وقد اشتملت على العقائد والشرائع، ومنها ما صرح القرآن باسمه، ومنها ما أخبر عنه دون تصريح باسمه.
- 3 - أنه يجب الإيمان بالملائكة والكتب، فمن أنكر أو شك في شيء من ذلك فقد كفر (والعياذ بالله).

المناقشة:

- 1- من هم الملائكة؟ وفيهم يختلفون عن غيرهم من مخلوقات الله؟
- 2 - عدد ثلاثاً من مهام الملائكة.
- 3 - اتفقت الكتب السماوية في أمور واختلفت في أخرى، ما المجالات التي اتفقت فيها وتلك التي اختلفت فيها؟

خطر السحر والكهانة والطيرة على الإيمان والعقل

الدرس الرابع

المنطلق:

1- قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوْا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٰنُ وَلٰكِنَّ الشَّيَاطِیْنَ كَفَرُوْا يَعْلَمُوْنَ النَّاسُ اَلْسَحَرُ وَمَا اُنْزِلَ عَلٰی الْمَلٰٓئِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوْت وَمَارُوْت وَمَا يَعْلَمٰنِ مِنْ اَحَدٍ حَقَّ يَقُوْلًا اِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُوْنَ مِنْهُمَا مَا يَفْرِقُوْنَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضٰرِّیْنَ بِهٖ مِنْ اَحَدٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ وَيَعْلَمُوْنَ مَا يَصُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوْا لَمَنِ اشْتَرٰهُ مَا لَهُۥ فِي الْاٰخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَیْسَ مَا شَكَرُوْا بِهٖ اَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَ ﴿١٠٢﴾ سورة البقرة.

2 - حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له» الطبراني بإسناد جيد.

3 - قوله صلى الله عليه وسلم : «من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما» مسلم.

شرح الكلمات والعبارات:

تَطَيَّرَ : تشاءم.

تَكْهَنَ : ادعى معرفة علم الغيب.

عَرَّافًا : كاهنا.

التعليق:

أ . السحر:

وهو عمل غير عادي يقوم به السحرة الذين تعلموه من الشياطين، فيؤثرون به على الأبدان والعقول عن طريق النفث في العقد وغيرها، فيمرض المسحور أو يموت، وقد يفرقون به بين المرء وزوجه كما قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضٰرِّیْنَ بِهٖ مِنْ اَحَدٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ﴾ (١٠٢) سورة البقرة. والسحر ثابت بنص الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ اتَىٰ﴾ (٦٩) سورة طه. وقد سحر النبي صلى الله عليه وسلم كما في البخاري، وتعلم السحر حرام، وفعله حرام، أما الساحر، فمن العلماء من قال بكفره.

قال في الكفاف:

والسحر قال: مالك تعلّمه كفر وقال: كافر معلّمه

ومنهم من قال بمعصيته، وحده القتل لحديث أبي ذر «حد الساحر ضربة بالسيف» رواه الترمذي.

وقد عُذ من الموبقات التي هي من أعظم الذنوب، وحذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يحل لمسلم أن يلجأ إلى السحر أو السحرة لعلاج مرض أو حل مشكل، لما في صحيح ابن حبان من حديث أبي موسى الأشعري «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصديق بالسحر» (أي مصدق بما يقوله السحرة).

وقد أمرنا الله بالاستعاذة منه في سورة الفلق قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِ رَبِّ الْفَلَقِ ۝1 مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝2 وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝3 وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝4 وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝5﴾، فالعمودتان هما أفضل ما يستعمل لإبطاله، وكذلك قراءة سورة البقرة وآية الكرسي فإنها ترد الشيطان.

ب - الكهانة:

الكاهن هو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي بها - وهو كاذب في دعواه معرفة الغيب، وإنما يحصل له بعض العلم عن طريق اتصاله بالجن، قال تعالى ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝26﴾ سورة الجن، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناساً عن الكهان فقال: ليسوا بشيء، فقالوا: إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً، فقال صلى الله عليه وسلم: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن ولية يخلطون معها مائة كذبة) متفق عليه. وقد حرم الإسلام الكهانة لأنها رجم بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله، قال تعالى ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُعْثَبُونَ ۝65﴾ سورة النمل، وكل ما يعطى للساحر والكاهن من أجر مقابل سحره أو كهانته حرام لا يجوز للدافع إعطاؤه، ولا للساحر أو الكاهن أخذه.

ج - الطيرة:

هي التشاؤم، وأصلها التطير من سوانح الطير وبوارحه ومن الظباء وغيرها، فقد كان أهل الجاهلية يزجرون الطير والوحش فما مر يميناً سموه سانحاً وتيامنوا به، وما مر شمالاً سموه بارحاً وتشاءموا به، وردهم عن قصدهم، فحرم الإسلام ذلك وأقر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفأل الحسن وسن الاستخارة كما في حديث جابر الذي رواه البخاري، ونهى أن ترد الطيرة شخصاً عن قصده، وقد ذكرت عنده الطيرة فقال: «أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكرهه فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك» رواه أبو داود بسند صحيح.

استخلاص:

- 1 - أن السحر أمر غير عادي يتعلمه السحرة من الشياطين ويؤثرون به على العقول والأبدان، ويجب الإيمان بوجوده، ومرتكبه كافر حده القتل.
- 2 - أن اعتقاد ما يقوله الكاهن حرام لأنه رجم بالغيب، ويعاقب الله المترددين على الكهنة بعدم قبول عبادتهم مدة من الزمن.
- 3 - أن كل ما يعطى للساحر أو الكاهن مقابل سحره أو كهنته هو مال خبيث حرام.
- 4 - أن التطير أثر من آثار الشرك في الجاهلية، وليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضرر.
- 5 - أن المؤمن ينبغي أن يكون قوي الإيمان بالله حريصا على اتباع دينه، متأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم غير ملتفت إلى عادات الجاهلية وسخافات التي تفسد العقل وتضعف اليقين.

المناقشة:

- 1 - عرف السحر والكهانة والطيرة، وبين تأثيرها على عقل ومزاج الشخص.
- 2 - هل الساحر مؤمن أم كافر؟ وما حده؟
- 3 - ماذا يفعل من همّ بسفر ورأى ما يكره؟
- 4 - ما حكم أجرة الساحر والكاهن؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ① بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ② أَوَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ③ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيفٌ ④ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ⑤ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ⑥ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ⑦ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ⑧ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ⑨ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ⑩ رَزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ⑪ كَذِبَ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ ⑫ وَأَصْحَبُ الرِّيسِ وَشَمُودُ ⑬ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطَ ⑭ وَأَصْحَبُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ⑮ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ⑯

شرح الكلمات والعبارات:

الْمَجِيدِ	: الكريم العظيم.
بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ	: تعجبوا من إرسال رسول من البشر.
ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ	: يستبعد الكفار الرجوع إلى البنية والهيئة التي نحن عليها
الآن بعد الموت.	
أَمْرٍ مَرِيجٍ	: مختلط مضطرب.
مِنْ فُرُوجٍ	: من شقوق.
مَدَدْنَاهَا	: بسطناها وفرشناها.
رَوَاسِيَ	: جبال.
بَهِيجٍ	: حسن المنظر.
تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ	: تبصيرا وتذكرا لكل عبد خائف خاضع.
مَاءً مُبَارَكًا	: نافعا للسقي والإنبات.
وَحَبَّ الْحَصِيدِ	: الزرع الصالح للادخار.
بَاسِقَاتٍ	: طوال شاهقات.
طَلْعٌ نَضِيدٌ	: مترابك بعضه فوق بعض.
بَلَدَةً مَيِّتًا	: أرضا كانت هامدة فلما جاءها المطر أنبتت.

الرَّسِّ

: بئر كان يقيم بها أصحاب النبي حنظلة بن صفوان العبسي.

الْأَيَّكَ

: الغيضة التي كان بها شعيب وأصحابه.

أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ

: فأعجزنا بدء الخلق الأول على غير مثال سابق.

لَسَّ

: شك.

تقديم السورة:

سورة «ق» مكية وعدد آياتها 45 آية، وقد اشتملت على كثير من الخوارق والآيات الدالة على قدرة الله تعالى وبديع صنعه في الكون والإنسان كخلق السماوات والأرض في ستة أيام، وإثبات البعث والرد على المنكرين له، وتثبيت الأرض بالرواسي وتزيينها بالنبات وإنزال المطر، والبعث والحساب، والجزاء على العمل بالجنة أو النار، ولأهمية هذه السورة، ولما اشتملت عليه من أمور أساسية في العقيدة، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقرأها في خطب الجمعة وكان يقرأ بـ «ق» و«القمر» في الأضحى والفطر.

بعض مضامين هذه الآيات:

1 - تعجب الكفار من البعث وإرسال الرسل:

يتحدث هذا المقطع من السورة عن البعث وإنكار المشركين له، فيبدأ بحرف الهجاء (ق) وهو من فواتح السور التي هي من إعجاز القرآن، ثم يقسم جل وعلا بالقرآن المجيد دون أن يصرح بالمقسم عليه تهويلا وتعظيما لشأنه، فالتقدير (ق) والقرآن المجيد... لتبعثن) الأمر الذي تعجب منه المشركون - كما تعجبوا من إرسال الرسل - وجعلوه من العجائب التي تثير الدهشة وتدعو إلى الحيرة والاستغراب قائلين: ﴿أَذَا مِنَّا لَكُنُوزًا وَعَظْمًا إِنَّا لَمَعُوثُونَ﴾ (16) سورة الصافات، زاعمين أن الموت نهاية رحلة الوجود عندهم، فيبين المولى جل وعلا بأنه يعلم ما تأكله الأرض من أجسامهم وما يبقى منها، فكل ذلك مسجل في كتاب محفوظ وسيبعثون عند النفخ في الصور النفخة الأخيرة.

2 - حيرة الكفار ودعوة الله لهم إلى النظر إلى خلق هذا الكون:

يبين الله في الآيات حيرة المشركين واضطراب أنفسهم واختلاط الأمر عليهم ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ (5) سورة «ق»، فيوجه أنظارهم إلى المشاهد الكونية العظيمة المحيطة بهم لينظروا إلى السماء كيف بنيت دون شقوق تعيبها أو تشينها، وإلى الأرض وامتدادها وما فيها من الجبال، وإلى الماء المبارك النازل من السماء، وما يأتي به من الرحمة، وإنبات الجنان ومختلف أنواع الزروع والثمار رزقا للعباد وذكرى لكل عبد منيب ودليلا شاهدا على قدرته تعالى على البعث، فمن خلق هذا من عدم قادر على أن يحيي الموتى من جديد قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مِثْلًا وَشِئَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) سورة يس، فقد كذب هؤلاء بالبعث وكذبوا الرسل كما كذب أمثالهم من الأمم الغابرة، وتنتهي الآيات باستفهام استنكاري: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (15) فأعادة الخلق أسهل من إنشائه، قال

تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (27) سورة الروم ، وقال ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيَضْحَكُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (51) سورة الإسراء.

استخلاص:

- 1 - أن المشركين تعجبوا من إرسال الرسل، ولكن الحكمة الإلهية والمصالح البشرية تقتضي إرسال رسل من البشر لدعوتهم إلى الله وهدايتهم لطريق الحق والنجاة من العذاب، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ نِصْرِهِ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (25) سورة الحديد.
- 2 - أن الكفر سبب للحيرة والقلق، والإيمان سبب للراحة والاطمئنان النفسي.
- 3 - أن مشاهد الكون براهين شاهدة على قدرة الله تعالى.
- 4 - أن الله الذي أنشأ الكون من غير أصل سابق قادر على إعادته من جديد.

المناقشة:

- 1 - ما أهم المسائل التي اشتملت عليها سورة «ق»؟
- 2 - ما الذي تعجب منه المشركون؟ وهل هم مسبوقون في ذلك أم لا؟
- 3 - اشتمل هذا المقطع من السورة على ظواهر كونية، أبرزها وبين دلالاتها.

الدرس السادس سورة «ق» الآيات (16 - 29)

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَيَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ ۝١٦﴾ إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقُّ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝٢٠ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝٢١ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ ۝٢٣ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَبَاقٍ عَنِيدٍ ۝٢٤ مَتَاعَ الْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝٢٥ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيهِ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۝٢٦ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝٢٧ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ۝٢٨ مَا يُبْدِلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾

شرح الكلمات والعبارات:

مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ.	: ما تأمره به من الخير والشر.
أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَبَلِ الْوَرِيدِ	: أقرب إليه من ودجه وعروقه.
إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقُّ عَنِ الْيَمِينِ	: أي الملكان اللذان يكتبان عمل الإنسان.
قَعِيدٌ	: مترصد ينتظر بكل استعداد.
رَقِيبٌ عَتِيدٌ	: حافظ ، حاضر مهياً.
وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ	: فكشفت لك عن ما كنت تنكر مما جاءك به الرسل.
مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ	: ما كنت تفر منه.
وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ	: سائق إلى مكان الحشر وشهيد على عملها.
فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ	: أي قوي يرى كل شيء.
قَالَ قَرِينُهُ	: الملك الموكل بعمله.
هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ	: حاضر مهياً.
مُعْتَدٍ	: متجاوز للحد.
مُرِيبٍ	: شاك في أمره مريب لمن نظر في أمره.

رَبَّنَا مَا أَطَغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ : ما أضلته بل كان ضالا قابلا للباطل.
 لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ : أي عندي.
 وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ : أي قطعت عذرکم على السنة الرسل.
 مَا يُبْدِلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ : قد قضيت ما أنا قاض ولا تغيير فيه.
 وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ : لا أعذب أحدا إلا بذنبه بعد إقامة الحجة عليه.

بعض مضامين هذه الآيات:

1 - خلق الله للإنسان، وعلمه بخفاياه:

تبين الآيات أن الله تبارك وتعالى الذي خلق الإنسان عالم بخفاياه، فصانع الآلة أدرى بتركيبها وأسرارها وبطريقة عملها، والله الذي خلق الإنسان يعلم خفايا نفسه وسوف يكشف له عن سره وعلايته، فهو يراقبه، وقد وكل به ملكين أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات، والآخر عن شماله يكتب السيئات يرصدان حركاته وسكناته ويسجلان كل كلمة تلفظ بها أو كل تصرف قام به، قال تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كُنِينًا ۝١١﴾ سورة الانفطار، وقد روى أبو هريرة قوله صلى الله عليه وسلم: «وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى بها عليه سخطه إلى يوم القيامة» البخاري ومسلم.

2 - انكشفت الحجب وأصبح الخبر عيانا:

تأتي سكرة الموت بالحق (وإن للموت لسكرات) وعندئذ يرى الإنسان الحق واضحا بلا حجاب، فيدرك ما كان يجهل وما كان يجحد، فيريد أن يتوب ويندم ولكن هيهات فلات حين مندم فقد طويت الصحف، وسد باب التوبة، ثم يأتي مشهد الحشر والحساب وهو مشهد كفيل بإثارة الرعب في النفس عند استحضاره، فيساق الإنسان إلى المحشر ومعه سائق يسوقه وشاهد يشهد عليه، فيجاء به إلى هذا الموعد الذي غفل عنه الغافلون وكذبوا به ولم يحسبوا له حسابا، فلينظروا فبصرهم اليوم حديد والمغيبات صارت مشاهد، وهذا القرين الشهيد أدى أمانته فحضر كل شيء، فيأمر الله بالبقاء الجاحد العنيد الجبار في العذاب الشديد، ويفزع شيطانه وقرينه قائلا: ﴿رَبَّنَا مَا أَطَغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾، فيجيب المولى عز وجل الكفار وقرناءهم قائلا: ﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ﴾ فالموقف ليس موقف خصام فقد أنذرتكم من شر هذا اليوم في الدنيا، وسجلت جزاء كل عمل ولن أبدل ما قلته لكم من عقابي للكافرين وجزائي للمطيعين، فلا أظلم أحدا قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝١٧﴾ سورة غافر، وقد عبر السياق بالفعل الماضي في أوائل هذه الآيات (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ / وَنُفِخَ فِي الصُّورِ / وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ) لتحقيق وقوع الأمر، فها قد انكشف عنك أيها الكافر المكذب الغطاء الذي هو الغفلة والانهماك في الشهوات.

استخلاص:

- 1 - أن علم الله تعالى محيط بجميع ما يصدر عن الشخص من أقوال وأفعال وخواطر.
- 2 - أن الإنسان يراقبه في الدنيا ملكان حافظان حاضران يكتبان كل ما يصدر عنه من قول أو عمل.
- 3 - أن الإنسان بعد موته يتيقن كل ما كان غائبا عنه من أمور الآخرة، فيحشر الإنسان بعد النفخ في الصور ومعه عمله محضرا مدققا، فيلقي العاصي عند ذلك باللائمة على شيطانه الذي قارنه ووسوس إليه في الدنيا فيتبرأ منه الشيطان قائلا إنما دعوتك فاستجبت لي، فيقال لهما الوقت ليس وقت خصام بل وقت جزاء قال تعالى: ﴿إِلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (17) سورة غافر.

المنافشة:

- 1 - ما الوسيلة التي من خلالها يُراقب الإنسان؟ وكيف يراقب؟
- 2 - ما المشاهد التي تنكشف للإنسان عند الموت؟
- 3 - ما المحاور التي تكون بين الإنسان وقرينه؟ وما رد المولى عز وجل عليهما؟
- 4 - لكل إنسان رقيبان من الملائكة بين مهمة كل منهما.

الدرس السابع سورة «ق» الآيات (30 - 45)

قَالَ تَعَالَى:

﴿يَوْمَ يَقُولُ لِحَبَّهْمَ هَلْ بِامْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ۝ (30) وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُنْفِقِينَ غَيْرَ بِعِيدٍ ۝ (31) هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ (32) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ۝ (33) ادْخُلُوا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۝ (34) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝ (35) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ۝ (36) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝ (37) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۝ (38) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۝ (39) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الشُّجُودِ ۝ (40) وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ۝ (41) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ۝ (42) إِنَّا نَحْنُ مُجِيبُوهُمْ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ۝ (43) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝ (44) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ ۝ (45)﴾

شرح الكلمات والعبارات:

- | | |
|--|--|
| وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ | : أدنيت وقربت. |
| أَوَّابٍ | : كثير الإنابة إلى الله. |
| حَفِيظٍ | : يحفظ العهد الذي بينه وبين الله والذي بينه وبين الناس. |
| مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ | : من اتقى الله في السر والعلانية. |
| وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ | : لقي الله بقلب خاشع خاضع. |
| فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ | : بحثوا فيها. |
| هَلْ مِنْ مَحِيصٍ | : لا مفر من لقاء الله. |
| أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ | : استمع للكلام حاضر البال فوعاه وحفظه. |
| وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ | : ما مسنا من إعياء ولا تعب. |
| وَإِدْبَرَ الشُّجُودِ | : إثر الصلوات. |
| وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ | : يوم يدعو إسرافيل من بيت المقدس. |
| يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ | : أي النفخة الثانية في الصور التي تأتي بالحق الذي كان المشركون يمارون فيه. |

ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ

: أي من الأحداث (القبور).

تَشَقُّقُ الْأَرْضِ عَنْهُمْ سِرَاعًا

: يخرجون من الأرض مبادرين إلى أمر الله.

وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ

: ما أنت بمجبرهم على الإيمان إنما أنت مبلغ.

بعض مضامين هذه الآيات:

1 - مصير الإنسان:

تحدثت الآيات عن موقف عظيم ومشهد يا له من مشهد شدة وفزعاً، إنه مشهد جهنم وقد قذف فيها حطبها من الناس والحجارة فتتأكل وتتأجج وتحرق قائلة: هل من مزيد؟، وفي الجانب الثاني مشهد في غاية الجمال والأمان، إنها الجنة بنعيمها وزخرفها قد قربت للمتقين مع الترحيب والإكرام والوعد بالزيادة في التكريم بروية المولى عز وجل.

2 - مصير الكذابين:

ثم تذكر الآيات بأن الطغاة الكذابين والجبابرة المعاندين الذين استولوا على الملك وأخذوا بزمame وكفروا بالله وجاروا في حكمهم سيلقون مصيرهم المحتوم كما لقيه سابقهم في القرون الخالية، وكانوا أقوياء أشداء خرجوا في البلاد وبحثوا فيها فلم يجدوا وسيلة للبقاء حتى أدركهم الموت، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو شد انتباهه دون تكبر أو عناد، ثم تلفت الآيات انتباه هؤلاء إلى التدبر في ملكوت السماوات والأرض وما بينهما، فالله الذي خلق ذلك في ستة أيام من أيامه دون إعياء أو فتور كيف يعجزه إحياء الموتى الذي هو بدون شك أسهل وأيسر من خلق السماوات والأرض وما تحويه.

3 - البعث والحشر:

فبعد تكذيب الكذابين لرسول الله صلى الله عليه وسلم - رغم كثرة الآيات الدالة على صدق رسالته - يأمره تعالى بالصبر والتسبيح والسجود قبل شروق الشمس وغروبها وما بينهما استعداداً لذلك اليوم الهائل يوم الصيحة ويوم الحشر الذي لهوله تعددت أسماؤه مثل الأزفة والصاخة والقارعة... ذلك اليوم الذي يأمر الله ملكاً أن ينادي على صخرة بيت المقدس قائلاً: «أيها العظام البالية والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء» فتشقق الأرض ويخرج الأموات من الأجداث سراعاً وتجتمع الخلائق جميعاً في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر للفصل والقضاء بينهم، فالله تعالى هو المحيي وهو المميت، وهو الباعث وهو الحاشر فكل عليه يسير.

وبعد هذا العرض المذهل لوقائع ذلك اليوم المشهود تختتم السورة بالتثبيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه جدل الكفار وعنادهم، فالله تعالى عليم بذلك وهو لهم بالمرصاد، وما أنت يا رسول الله بمجبرهم على الإيمان والتصديق، إنما أنت مذكر.

استخلاص:

- 1 - أن الجنة أعدت جزاء للمتقين، وأن النار هيئت عقاباً للكافرين.
- 2 - أن الإنسان ينبغي له أن يتصور هول يوم القيامة ليعد له، وعذاب النار ليخافه،

ونعيم الجنة ليسعى له.

3 - أن في خلق السماوات والأرض في ستة أيام توجيهها للإنسان إلى الثاني في الأمور لأن الله تبارك وتعالى قادر على خلق السماوات والأرضين في لحظة واحدة ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (82) سورة يس.

4 - أن القرآن خير ما يعتمد عليه في الدعوة إلى الله، وطلب الهداية وحصول الموعظة.

المناقشة:

- 1 - للمرء مصيران، فما هما؟ وبم ينال كل منهما؟
- 2 - بين من خلال الآيات أمارات السعادة وعلامات الشقاء.
- 3 - ما بداية الحشر؟ وكيف يحشر الناس للفصل بينهم؟
- 4 - ما الحكمة من خلق السماوات والأرض في ستة أيام؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ ذَرَوْا ۙ (١) فَالْحَمَلَاتِ وَقَرَا ۙ (٢) فَالْجَارِئَتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفَعُوا ۙ (٦) وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٨) يُوفِّكُ عَنْهُ مَنْ آوَاكُ (٩) قِيلَ الْخَرَّصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الَّذِينَ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ (١٣) ذُوقُوا فَلَنْتَكُمُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِءَ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) - اخْذِينَ مَا آتَاهُنَّ رَبُّهُنَّ إِنَّهُنَّ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَلَا يَسْمُرُونَ (١٨) - وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصَرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوْعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطُقُونَ (٢٣)

شرح الكلمات والعبارات:

وَالَّذِينَ ذَرَوْا ۙ	: الرياح تذرّو التراب.
فَالْحَمَلَاتِ وَقَرَا ۙ	: السحب التي تحمل الماء.
فَالْجَارِئَتِ يُسْرًا	: السفن التي تحمل الأرزاق.
فَالْمُقَسَّمَتِ أَمْرًا	: الملائكة يقسمون أمر الله كما أمروا به.
لَصَادِقٌ	: لحق.
وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفَعُوا ۙ	: الجزاء والحساب واقع عليكم.
ذَاتَ الْحُبُكِ	: ذات الخلق الحسن، والطرق التي تجري فيها الكواكب.
قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ	: متناقض، مضطرب.
يُوفِّكُ عَنْهُ	: يصرف عنه.
مَنْ آوَاكُ	: من صرف عن الإيمان ولم يوفق له.
الْخَرَّصُونَ	: الكاذبون من كفار مكة أو الكهنة.
سَاهُونَ	: غافلون عن الآخرة.

يَوْمَ الدِّينِ : يوم الجزاء والحساب.
 ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ : عذابكم.
 يَهْجَعُونَ : ينامون.
 وَيَا لَأَسْجَارٍ : جمع سَجَر وهو آخر الليل.
 حَقٌّ : نصيب.
 لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ : السائل من يسأل الناس، والمحروم هنا المتعفف عن المسألة.
 ءَابَتْ : عِظَات وعبر.

تقديم السورة:

سورة الذاريات سورة مكية عدد آياتها ستون آية بيّن الله تعالى فيها كامل قدرته وبديع صنعه في ملكه، وقص فيها إجمالاً حال الأمم السابقة التي كذبت رسله وما أصابهم جزاء ذلك، وبين فيها أيضاً الحكمة من خلق الإنسان والمقصد من وجوده وهو عبادة الله على وفق ما جاء به رسله وأنبيأؤه.

بعض مضامين هذه الآيات:

افتتح الله السورة بالقسم بالظواهر والمشاهدات التي يراها الكفار ويشاهدونها كالرياح والسحاب والسفن وما يعلمون بوجوده ويقرون بعظمته وقوته وهو الملائكة.
 أقسم الله بهذه الأمور على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وعلى وقوع ما أخبر به من عقاب وجزاء.

ثم أقسم بالسماء ذات الحبك على عدم اتفاق الكفار واختلافهم في شأن الدين، فإنهم مصروفون عن الإيمان بـ محمد صلى الله عليه وسلم والتصديق برسالته، فأخبر تعالى أن العقاب والعذاب واقع بهم جزاء لهم على كفرهم وتكذيبهم بالحق وإعراضهم عن دين الله، فحين يعرضون على النار يوم القيامة يقول لهم خزنتها توبيخاً وتقريعاً لهم ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي جزاءكم وعقوبتكم فهذا ما كنتم تكذبون به وتقولون سخرية واستهزاء متى هو واقع، وفي المقابل يخبر تعالى بما أعده للمتقين الذين أطاعوه بامتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه، فهم في جنات وعيون ونعيم مقيم جزاء لهم على الصلاة بالليل ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾⁽¹⁶⁾
 سورة السجدة والاستغفار بالأسحار وإنفاق أموالهم على الفقراء والمساكين.

المناقشة:

- 1- بم أقسم الله تعالى؟
- 2- ما أعمال البر التي أثنى الله بها على عباده المتقين في الآيات؟
- 3- ما الأحكام والآداب التي اشتملت عليها سورة الذاريات إجمالاً؟

قَالَ تَعَالَى:

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ يَغْلَمٌ عَلَيْهِمُ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ إِمْرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّهُ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَ مِّنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مِصْرَ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ رِبِّكَهٗ وَقَالَ سَحَرًا أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَن أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْغَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِّنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ۝

شرح الكلمات والعبارات:

قَوْمٌ مُنْكَرُونَ	: غرباء لا نعرفكم.
فَرَاغَ	: ذهب بسرعة وخفة.
فَأَوْجَسَ	: أحس، أضر.
فِي صَرَقٍ	: في صيحة وضجة.
فَصَكَّتْ وَجْهَهَا	: لطمته.
عَجُوزٌ عَقِيمٌ	: كبيرة السن لا تلد.
فَمَا خَطْبُكُمْ	: ما شأنكم.
مُسَوِّمَةً	: معلمة بعلامة من عند الله.
بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ	: بحجة واضحة.
فَتَوَلَّىٰ	: أعرض.
رِبِّكَهٗ	: بجمعه وجنوده.
فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ	: أغرقناهم في البحر.
وَهُوَ مُلِيمٌ	: معاند، مكابر، كافر.

الْرِيحَ الْعَقِيمَ : التي لا خير فيها ولا بركة.
 جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ : أهلكت أنفسهم وأموالهم ودمرت نخلمهم وزرعوهم.
 فَمَتَوَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ : أعرضوا عن طاعة ربهم.
 الصَّحْقَةُ : الموت والهلاك.
 مِنْ قِيَامٍ : من هرب أو نهوض.

بعض مضامين هذه الآيات:

يتناول هذا المقطع من السورة قصص طائفة من الأنبياء ورد قصصهم مفصلاً في سور من القرآن وورد هنا مجملاً، أولهم إبراهيم عليه السلام حين دخل عليه ملائكة الله في صورة رجال فخالهم ضيوفاً، فخرج عنهم خفية وجاء مسرعاً بطعام هو أجود ما عنده، جاء بعجل سمين فتني مشوي وقربه إليهم فلما رأى إعراضهم عن الطعام قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (27)، وأوجس منهم خيفة ورابه أمرهم قال ابن كثير: «وفي الآية تلطف في العبارة وعرض حسن وقد انتظمت فيها آداب الضيافة فإنه جاء بطعام بسرعة من حيث لا يشعرون ولم يمتن عليهم وأتى بأفضل ما وجد من ماله وأضمر الخوف»، فقالوا لا تخف وبشروه بسلام صالح تقي، فصاحت امرأته متعجبة لأنها عجوز عقيم فقالوا لها إن الأمر قد قضي وأن أمر الله لا يتعجب منه فقدرته لا يعجزها شيء ولما عرف إبراهيم أنهم رسل من الله سألهم عن أمرهم، فأخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم مجرمين هم قوم لوط ليصبوا عليهم العذاب صبا.

ثم تناولت بعد ذلك قصة موسى عليه السلام حين جاء فرعون تارة بالقول اللين والترغيب وتارة بالمعجزات والآيات الباهرة فلم يذعن وبالع في الكفر والطغيان وادعى الربوبية واتهم موسى بالسحر والجنون، فأهلكه الله بالغرق في البحر. بعد ذلك وردت قصة عاد الذين طغوا واستكبروا واغترؤا بقوتهم فأرسل الله عليهم ريحا شديدة أهلكت الأنفس ودمرت المواشي والنخيل والزروع، وبعدهم جاءت ثمود فبدلوا نعمة الله بكفرا وعقروا ناقة الله فأهلكهم الله بصيحة من الملك ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا صِخْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَاذْهَبُوا خِيمِدُونَ﴾ (29) سورة يس، ثم ختم الآيات بخبر قوم نوح الذين مكث فيهم نبي الله نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ويعظهم ويذكرهم بنعم الله فلم يؤمن منهم إلا القليل فأرسل الله عليهم الطوفان فلم ينج منهم إلا نوحا ومن كان معه في السفينة وفي هذه القصص عبرة للمؤمنين وإنذار وتهديد للمشركين.

المناقشة:

1. ما الحكمة من القصص القرآني؟
2. ما الأنبياء الذين ورد ذكرهم في هذا المقطع من السورة؟
3. كيف كانت عاقبة كل من عاد وثمود وقوم فرعون؟
4. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُوكُمْ لِنِ شُكْرِكُمْ لَا زَيْدَنَكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (7) سورة إبراهيم، بين كيف أن الشكر يزيد في النعم وأن كفرها يزيلها.

سورة الذاريات الآيات (47 – 60)

الدرس العاشر

قَالَ تَعَالَى:

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا - آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ﴿٥٢﴾ اتَّوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَنُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرَ فَإِنَّ الدُّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات والعبارات:

بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَقُدْرَةٍ:	بِأَيْدٍ
: الممسون، المصلحون.	الْمُهْدُونَ
: اهربوا إليه والتجنوا إليه.	فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ
: طغاة، كفر، ظالمون.	طَاغُونَ
: أعرض عنهم.	فَنُوحِيَ إِلَيْهِمْ
: لا لوم عليك ولا عتاب.	فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ
: ليوحدوني، ويعرفوني ويطيعوني ويعظموني.	لِيَعْبُدُونِ
: نصيبا من العذاب.	ذُنُوبًا
: هلاك وعذاب ودمار.	فَوَيْلٌ

بعض مضامين هذه الآيات:

في هذا المقطع من السورة يبين تعالى كامل قدرته وبديع صنعته في ملكه، فأخبر أنه بنى السماء بقوة وقدره عظيمه وهي فضاء فسيح يسع الكواكب والنجوم والمجرات، ورحمة منه تعالى بعباده ومخلوقاته فرش الأرض وسواها وجعلها بالعناصر الضرورية للحياة من ماء وهواء ودرجة حرارة مناسبة، وخلق فيها من كل زوجين اثنين، فمن تأمل هذا الكون بعين البصيرة والعقل أدرك عظمة الخالق الكبير المتعالي. فهذه الأرض التي نعيش على سطحها ما هي إلا ذرة صغيرة من هذا الكون الفسيح،

وهي كبيرة في نظر الإنسان ولكنها صغيرة بالنسبة للنجوم والمجرات.
 فمن هذا ملكه وهذه قدرته وعظمته هو الذي يستحق العبادة ويستعاذ به ويلجأ إليه
 عند المصائب والشدائد ويوحد بالعبادة ويخلص له العمل.
 وقد ورد الأمر بالفرار للتنبيه على أن هناك عقاباً حقه أن يُفَرَّ منه فقد جمعت اللفظة
 بين التحذير والاستدعاء قال ابن الجوزي: (المعنى اهربوا مما يوجب العقاب من الكفر
 والعصيان إلى ما يوجب الثواب من الطاعة والإيمان).
 وبين تعالى أنه خلق الإنسان لغاية ومقصد هو التوحيد والتعظيم ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا
 أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ (57)، فلا أريد منهم أن يرزقوني ولا يرزقوا أنفسهم فأنا الغني الكريم
 ذو القوة القاهرة والرحمة الواسعة.
 وختم تعالى السورة بالتنبيه على أن مشركي مكة سينالهم نصيب من العذاب كما نال
 أسلافهم من المشركين من الأمم السابقة، فهو واقع بهم عاجلاً أو آجلاً.

المناقشة:

- 1- تحدث عن عجائب قدرة الله في الكون.
- 2- قارن بين سعة الأرض وسعة النجوم والكواكب.
- 3- خلق الله الإنس والجن لغاية، ما هي؟
- 4- توعد الله كفار مكة في هذه الآيات، أين تجد ذلك؟

الدرس الحادي عشر سورة الطور الآيات (1-16)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ﴾ ① وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ② فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ③ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ④ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ⑤ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ⑥ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ⑦ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ⑧ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ⑨ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ⑩ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑪ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ⑫ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ⑬ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ⑭ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ⑮ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑯

شرح الكلمات والعبارات:

وَالطُّورِ : الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام.

وَكَتَبَ مَسْطُورٍ : مكتوب.

رَقٍّ : أديم يكتب عليه.

مَّنْشُورٍ : مبسوط.

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ : بيت في السماء السابعة مقابل الكعبة في مكة.

وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ : يعني السماء.

وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ : الموقد.

لَوَاقِعٌ : لحق.

مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ : ماله من مانع.

تَمُورُ السَّمَاءُ : تدور، وتضطرب.

وَتَسِيرُ الْجِبَالُ : تزول عن موضعها.

فَوَيْلٌ : شدة عذاب.

خَوْضٍ : يخوضون في الباطل.

يَدْعُوتُ : يدفعون دفعا قويا شديدا.

أَصْلَوْهَا : ذوقوا عذابها وحرّها.

تقديم السورة:

سورة الطور مكية عدد آياتها (49) آية، ابتدأت بالحديث عن أهوال الآخرة والقسم على أن العذاب نازل بالكفار لا محالة، ثم بينت حال المتقين في جنات النعيم ممتعين بما يشتهون، وبيّنت مهمة الرسل مبشرين ومنذرين لا يهمهم ما يفتريه المفترون، فمحمد صلى الله عليه وسلم أكرمه الله بالرسالة ليس كاهنا ولا مجنونا كما زعم الكفار والمشركون وقد جاءت الحجج الدامغة والبراهين القاطعة على صدقه، وختمت السورة بتوبيخ الكافرين لفرط طغيانهم وأمر الله رسوله بالصبر على أذاهم والثبات حتى يأتي نصر الله فيلقوا ما يوعدون.

بعض مضامين هذه الآيات:

أقسم تعالى بهذه المعظّمات الدالة على كمال قدرته وبديع صنعه على وقوع العذاب يوم القيامة على أعدائه، وأنه لا دافع له عنهم، فأقسم على ذلك بالطور وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام، وأقسم بالكتاب المسطور الذي هو اللوح المحفوظ أو الكتب المنزلة المقروءة والمكتوبة عموما أو القرآن الكريم خاصة. وأقسم بالبيت المعمور وهو بيت العزة في السماء السابعة المقابل للكعبة، وهذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، وتطوف به الملائكة كما يطوف الناس بالكعبة.

ثم أقسم بالسقف المرفوع وهو السماء والبحر المسجور وهو البحار التي توقد يوم القيامة فتزید في حر جهنم، أقسم بهذه المعظّمات تأكيدا على وقوع العذاب يوم القيامة على الكفار المكذّبين برسله المعرضين عن الحق.

فالعذاب نازل بهم واقع عليهم لا مرد له عنهم حين تدور السماء وتضطرب وتزول الجبال يسيرها الله ويختل نظام الكون ويقع الجزاء، فيجازي الله كل نفس بما عملت، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، فالجزاء من جنس العمل، والمعرضون عن الحق والمكذبون بالرسول المنكرون للعذاب والخائضون في الحرام تدفعهم الزبانية في النار بعنف وشدة قد قيدت أيديهم بأعناقهم وربطت نواصيهم بأرجلهم ويقولون لهم توبيخا وتقريعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون فذوقوا عذابها واصلوها صبرتم على ذلك أم لم تصبروا فلا منجى لكم منها ولا خلاص لكم من عذابها جزاء لكم وفاقا على تكذيبكم للرسول وإعراضكم عن الحق (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) الآية.

المناقشة:

- 1- ما المعظّمات التي أقسم الله بها في هذه الآيات؟
- 2- علام أقسم المولى جل وعلا في هذه الآيات؟
- 3- ورد في الآيات ما يدل على تغير نظام الكون، أين تجد ذلك؟
- 4- بم يخاطب ملائكة العذاب أهل النار؟

الدرس الثاني عشر سورة الطور الآيات (17 - 28)

قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُودٍ ﴿١٧﴾ فَتَكِيهِمْ يَمَاءٌ أُنْزِلَتْ مِنْ رَبِّهِمْ وَوَقَيْهِمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكِيِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ فِيكَهْتُمْ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَرَّبَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَيْتَنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ أَنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾

شرح الكلمات والعبارات:

فَتَكِيهِمْ	: مُنْعَمِينَ، مُعْجَبِينَ.
وَوَقَيْهِمْ	: نَجَاهُمْ.
هَنِيئًا	: مَأْمُونِ الْعَاقِبَةِ مِنَ التَّخْمَةِ وَالسَّقَمِ.
سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ	: مَوْضُوعَةٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَوُجُوهُهُمْ مُتَقَابِلَةٌ.
بِحُورٍ عِينٍ	: ضَخَامِ الْعَيُونِ، شَدِيدِ بَيَاضِهَا وَشَدِيدِ سَوَادِهَا.
أَلَتْنَاهُمْ	: نَقَصْنَاهُمْ.
رَهِينٌ	: مَرْتَهَنٌ.
يَنْزِعُونَ	: يَتَعَاطُونَ وَيَتَنَاوَلُونَ.
لَا لَغْوٌ فِيهَا	: لَا بَاطِلَ فِيهَا وَلَا رِفْثَ.
لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ	: مَخْزُونٌ، مَصُونٌ.
مُشْفِقِينَ	: خَائِفِينَ مِنَ الْعَذَابِ.
فَمَرَّبَ اللَّهُ عَلَيْنَا	: غَفَرَ لَنَا.
وَوَقَيْتَنَا	: نَجَانَا.
عَذَابَ السَّمُومِ	: عَذَابِ النَّارِ، أَوْ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ.
الْبَرُّ	: اللَّطِيفُ الصَّادِقُ فِيمَا وَعَدَ.

بعض مضامين هذه الآيات:

ورد في الآيات السابقة ما فيه الكفار المكذبون لرسول الله المعرضون عن الحق من نكال وهوان و ورد في هذه الآيات ما أنعم الله به على المتقين وهم الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وامتثلوا ما أمر به واجتنبوا ما نهى عنه، فأخبر أنهم يتفكحون بما لَدَّ وطاب من أصناف المأكَل والملبس والمشرب وقد نجاهم الله من عذاب جهنم وهي نعمة لا تضاهيها نعمة، وأنعم عليهم بدخول الجنة التي فيها من أنواع السرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويخاطبهم المولى عز وجل إحساناً وإنعاماً ﴿ هَيِّئْ لَنَا يَا كَاتِبُ تَعْمَلُونَ ﴾ وفي موضع آخر ﴿ كُؤُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْآيَاتِ الْخَالِيَةِ ﴾ (24) سورة الحاقة ، فهم في الجنة متكئين على سرر متقابلين زوجاتهم الحور العين كأنهن لؤلؤ مكنون.

وفي الآيات الموالية يخبر تعالى عن فضله وكرمه وإحسانه ولطفه بعباده المؤمنين أن الذين اتبعتهم ذريتهم بإيمان يلحق بهم ذرياتهم وينزلهم منزلة لم يبلغوها بأعمالهم لتقر أعين آبائهم بهم دون أن ينقص ذلك من أجور الآباء أو يحط من منزلتهم في الجنة. ثم يخبر تعالى عن مقام العدل فالله العدل لا يؤاخذ أحدا بذنب آخر ولو كان أباً أو ابناً فكل رهين بعمله، ثم يبين في آخر الآيات أنه جل وعلا أنعم على أهل الجنة بأصناف الفواكه وما يشتهي من اللحم والشراب، فهم يتعاطون كؤوس خمر لا صداع لها ولا ألم ويتبادلون الحديث الطيب الذي لا فحش فيه ولا إثم وخدمهم ولدان مخلصون كأنهم في الحسن والنظافة اللؤلؤ المكنون، فأقبل بعضهم على بعض يتسائلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا قائلين: كنا ونحن بين أهلينا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه فمن علينا وأجارنا مما كنا نخاف منه ونتضرع إليه أن يُجبرنا منه فأعطانا سؤلنا وحقق رجاءنا إنه الرحيم القريب المجيب.

المناقشة:

- 1- ما جزاء المتقين؟
- 2- ما مصير الذرية المؤمنة للعباد الصالحين؟
- 3- ورد في الآيات أن الله يجازي كل إنسان بعمله، أين تجد ذلك في الآيات؟
- 4- فيم يتسائل أهل الجنة؟

الدرس الثالث عشر سورة الطور الآيات (29-49)

قَالَ تَعَالَى:

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (29) ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ﴾ (30) ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْأَمْتَرِ بَصِينٍ﴾ (31) ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُهُمْ هَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (32) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (33) ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (34) ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (35) ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (36) ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَصْطَرُونَ﴾ (37) ﴿أَمْ هُمْ سَامِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (38) ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ (39) ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ (40) ﴿أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ (41) ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ (42) ﴿أَمْ هُمُ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (43) ﴿وَإِنْ تَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ (44) ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ﴾ (45) ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (46) ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (47) ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (48) ﴿وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُودِ﴾ (49) ﴿

شرح الكلمات والعبارات:

فَذَكِّرْ	: فعض.
بِنِعْمَتِ رَبِّكَ	: برحمته وعظمته.
بِكَاهِنٍ	: الكاهن الذي يدعي أنه يعلم الغيب ويخير بما في غد.
نَّتَرَبَّصُ	: ننتظر.
رَبِّ الْمَنُونِ	: صروف الدهر وحوادثه، والمنون: الموت.
أَخْلَعُهُمْ	: عقولهم.
قَوْمٌ طَاغُونَ	: متجاوزون الحد في الكفر والطغيان.
نَقُولُهُ	: اختلقه من تلقاء نفسه.
يُؤْمِنُونَ	: يؤمنون بالحق ويصدقون به.
الْمَصْطَرُونَ	: المسلطون، الجبارون.
سَامِعُونَ	: مرقى ومصعد إلى السماء.
بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ	: حجة واضحة بينة.

أَجْرًا : جُعلا مكافأة.
 فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ: أثقلهم وأعجزهم المغرم الذي طلبت منهم.
 عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ : علم الغيب.
 كَيْدًا : مكر ا بك ليهلكوك.
 الْمَكِيدُونَ : المجزيون بكيدهم ومكرهم.
 سُبْحَنَ اللَّهُ : تنزيها له عما يقولون ويدعون.
 كَسَفًا : قطعة من السماء.
 سَحَابٌ مَرْكُومٌ : بعضه فوق بعض.
 فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا : دعهم حتى يعاينوا.
 يَصْعَقُونَ : يموتون ويهلكون.
 ظَلَمُوا : كفروا.
 عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ : عذابا في الدنيا قبل عذاب الآخرة.

بعض مضامين هذه الآيات:

في هذا المقطع من السورة يأمر المولى عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بدعوة أهل مكة وتذكيرهم بعذاب الله لمن كفر وتولى وعفوه ونعيمه لمن آمن واتفى فأنت برحمة ربك وعصمته لست كاهنا كذابا تدعي علم الغيب أو مجنونا يُخَيَّلُ له الشيطان ويتخبطه من المس، أما المشركون المكابرون الذين يزعمون تارة أنك شاعر وتارة أنك كاهن وتارة يصفون الوحي بأنه أساطير الأولين، وتارة بأنك افتريته فيتحداهم الله بأن يأتوا بحديث مثله أو عشر سور مثله أو سورة واحدة مثله إن كانوا صادقين ويغلب على هذا المقطع من السورة طابع المحاجة والرد القاطع لدعاوى المشركين فالله خلقهم لأنهم إما أن يخلقوا أنفسهم أم يخلقوا من غير شيء وكلاهما مستحيل، وإذا أقروا بعدم خلقهم لأنفسهم فلا سبيل لهم إلى خلق السماوات والأرض ولا إلى خزائن الرزق والمال ولا يمكنهم اطلاع غيب السماوات.

ويبين تعالى في الآيات غرور المشركين واستهانتهم بعذاب الله ومقتته، فإذا رأوا جرما من السماء ساقطا خالوه سحابة متراكبا ونعمة عليهم، ولكن الله يمهلهم حتى يحين موتهم ويلقوا جزاء كفرهم ومكرهم وكيدهم، وقد نالهم العذاب في الدنيا تارة بالشدّة وتارة بالقتل والأسر كما في بدر.

وفي آخر الآيات يأمر المولى جل وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على الحق وعلى أذى المشركين فلن ينالوا منه، فقد عصمه الله من كيدهم ومكرهم وسوف يُعْزِزه ويظهر دينه.

وفي ختام الآيات يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وهو أمر لأمته بالتسبيح وخاصة ليلاً وعند القيام من النوم و وقت السحر.

المناقشة:

- 1- كم مرة وردت لفظة «أم» في الآيات؟
- 2- بم أقام الله الحجة على من أنكروا خلق الله لهم؟
- 3- عاقب الله كفار مكة في الدنيا، بين ذلك.
- 4- ما أوقات التسبيح المذكورة في الآيات؟

المعهد التزويدي الوطني

الدرس الرابع عشر سورة النجم الآيات (1 - 25)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ (1) مَا ضَلَّ صُحُوبُكَ وَمَا عَوَىٰ ۝ (2) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ (6) وَهُوَ بِالْأَفْئِ الْآعْلَىٰ ۝ (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ (9) فَأَوْجَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْجَىٰ ۝ (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ (11) أَفَتَمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝ (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝ (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝ (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝ (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ (17) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ - آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝ (18) أَفَرَأَيْتُمْ أَتَلْتُ وَالْعَبْرَىٰ ۝ (19) وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةِ الْآخِرَىٰ ۝ (20) أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝ (21) تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝ (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ۝ (23) أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ۝ (24) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۝ (25)

شرح الكلمات والعبارات:

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ : الثريا إذا سقطت وغابت، أو نجوم السماء كلها.

صُحُوبُكَ : يعني محمدا صلى الله عليه وسلم.

عَوَى : جهل.

وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ : لا يتكلم بالباطل.

شَدِيدُ الْقُوَىٰ : هو جبريل عليه السلام.

ذُو مِرَّةٍ : ذو قوة وشدة.

وَهُوَ بِالْأَفْئِ الْآعْلَىٰ : مطلع الشمس.

قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ : مقدار قوسين أو قدر ذراعين.

أَفَتَمْنُونَهُ : تجادلونه.

وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ : رأى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السماء.

سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ : سدرة في السماء السابعة ينتهي إليها ما يعرج من الأرض.

جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ : يأوى إليها جبريل والملائكة أو أرواح الشهداء.

مَا زَاغَ الْبَصَرُ : ما مال بصره صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام.

مِنْ - آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ : رأى آيات عظام.

الَّتِ وَالْعُزَّى وَمَنْوَة : أصنام من حجارة كانت تعبد.
 قَسْمَةُ ضِيَرَى : قسمة جائرة، عرجاء غير عادلة.
 سُلْطَنَى : حجة.
 أَلْهُدَى : بيان بالكتاب المنزل و النبي المرسل.

تقديم السورة:

سورة النجم مكية وعدد آياتها (62) آية، ابتدأت بالحديث عن موضوع (المعراج) الذي كان معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث رأى من آيات ربه ما رأى، وذكرت الناس بما يجب عليهم من التصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم وترك المجادلة في الغيب والوحي، ثم بينت بطلان تلك الآلهة التي يزعمها المشركون كالأصنام والنجوم وغيرها من معبوداتهم الباطلة، وبينت أن الكل مجازى بعمله جزاء عادلا فلكل سعيه والعقوبة لا تتعدى المجرم فذلك العدل الذي جاءت به الكتب السماوية كلها، وليس الجزاء بالتمني، ثم ذكرت السورة بقدرة الله وبينت أثرها فالإحياء والإماتة والبعث والإغناء والإفكار وخلق الأضداد دال على قدرة الله.

وختمت السورة ببيان ما حل بالطغاة وقومهم المكذبين-كعاد وثمود وقوم نوح وقوم لوط - من العذاب والدمار تذكيرا لكفار مكة بالعذاب الذي ينتظرهم لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزجرا لأهل البغي والطغيان عن الاستمرار في عصيانهم وغيبهم.

بعض مضامين هذه الآيات:

الله سبحانه وتعالى أن يقسم بما شاء من خلقه ومخلوقاته، أما العبد المخلوق فلا يجوز له القسم إلا بالخالق جل وعلا ، والمقسم عليه هو صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، والشهادة له بأنه راشد تابع للحق ليس ضالا ولا متبعا للهوى ولا غاويا، والغاوي هو من عرف الحق فعدل عنه إلى غيره، فنزه الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن مشابهة أهل الضلال من النصاري واليهود، فما بعثه الله به من شرع في غاية السداد والاعتدال والاستقامة، فلا ينطق عن الهوى، وما يوحى إليه به ويؤمر بتبليغه يُبلّغه للناس كاملا غير منقوص وغير محرف.

ووردت في هذه السورة حادثة المعراج حين عرج برسوله الله صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس إلى الأفق الأعلى لمناجاة ربه، فرأى من آيات ربه العجيبة العظيمة الشيء الكثير، وزكى الله بصره ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ أي فما ذهب يميننا ولا شمالا ولم يفعل إلا ما أمر به ولم يسأل فوق ما أعطي.

ثم بين تعالى في الآيات مقرعا للمشركين الذين عبدوا الأصنام من دون الله مشنعا عليهم ادعاءهم الكاذب أن الملائكة بنات الله مع بغضهم للبنات ووأدهم لهن خوفا من الفقر والعار، فبأي حق يجعلون لأنفسهم الأولاد ويزعمون أن الله البنات ﴿ تِلْكَ إِذَا

فَسَمَةُ ضَيْرَى وَالْأَصْنَامُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا شُرَكَاءُ وَبُهْتَانٌ مَا شَرَعَهَا اللَّهُ وَلَا سَمَاءُهَا بَلْ هِيَ
حَجَارَةٌ لَا تُضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ.

المناقشة:

- 1- ما المقسم عليه في هذه السورة؟
- 2- ورد في الآيات تزكية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين تجد ذلك؟
- 3- ما القسمة التي بين الله في الآيات جورها وبطلانها؟
- 4- ما الأصنام التي ورد ذكرها في هذا المقطع من السورة؟

المعهد التزويدي الوطني

الدرس الخامس عشر سورة النجم الآيات (26-41)

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ۚ﴾ (26) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمَعُونَ أَلْسِنَةَ الْأَنْبِيَاءِ (27) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (28) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى (30) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْأَثَمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْفَقَ (32) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (33) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْبَى (34) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بِرَى (35) أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُؤَيَّنٍ (36) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37) أَلَا نَزَرْنَا وَازَرَهُ وَزَرْنَا أُخْرَى (38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى (41) ﴿

شرح الكلمات والعبارات:

وَأَنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا	: لا يقوم الظن مقام العلم.
فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا	: أَعْرِضْ عَنِ الْقُرْآنِ، أَوْ عَنِ الْإِيمَانِ.
ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ	: ذَلِكَ مَنْتَهَى عِلْمُهُمْ وَنَقْصُ عَقُولِهِمْ.
أَسْتَوُوا	: أَشْرَكُوا.
الَّذِينَ أَحْسَنُوا	: وَحَدُّوا رَبَّهُمْ.
بِالْحُسْنَى	: الْجَنَّةِ.
كَبِيرَ	: عِظَامِ الذُّنُوبِ الْمُتَوَعَّدِ عَلَيْهَا.
الْأَثَمِ	: الَّذِي يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ الْعِقَابَ، أَوْ الْفِعْلَ الَّذِي لَا يَحِلُّ.
وَالْفَوَاحِشِ	: مَا عَلِمَ قَبْضُهُ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ.
اللَّمَمِ	: مَا قَلَّ وَصَغُرَ مِنَ الذُّنُوبِ.
أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ	: خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ.
فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ	: لَا تَمْدَحُوها، وَلَا تَبْرئُوها مِنَ الْآثَامِ.

وَأَكْبَىٰ

: بخل وقطع.

يُنَبِّئُ

: يخبر.

وَقِيَّ

: عمل بما أمر به فأكمله وأتمه.

أَلَّا نَزِرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَىٰ

: لا تحمل نفس ذنب نفس أخرى.

وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ

: ليس للإنسان إلا ما عمل.

وَأَن سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ

: يراه في ميزانه يوم القيامة.

الْجَزَاءَ الْآوَفَىٰ

: الأثم والأكمل.

بعض مضامين هذه الآيات:

يخبر تعالى في هذه الآيات أن الشفاعة لا تجدي ولا تنفع عنده إلا إذا كانت ممن ارتضاه وأذن له فيها قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (28) سورة الأنبياء، وقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (255) سورة البقرة، فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف يكون من الأصنام والأوثان التي يعبدونها المشركون ويقولون ﴿هَؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (18) سورة يونس، فهم لفساد عقيدتهم وكفرهم بالله وتكذيبهم باليوم الآخر يسمون الملائكة تسمية الأنثى ويزعمون أنهم بنات الله ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (43) سورة الإسراء، ومالهم بهذا القول من علم ولا دليل، بل ظن، والظن لا يغني عن الحق شيئا بل هو أكذب الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث) رواه البخاري، ويأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن هؤلاء المشركين المكذبين بالحق المعرضين عنه، الذين لا هم لهم إلا متاع الدنيا وزينتها، فهو الخالق للعباد والهادي لمن شاء منهم والمضل لمن شاء فلا يقع في عباده إلا ما شاء، وهو المالك للسموات والأرض يحكم بين عباده بالعدل فيجازي الذين أحسنوا بالحسنى فضلا منه ويعذب من أساء عدلا منه، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

وبين تعالى أن المؤمنين يجتنبون كبائر الذنوب والآثام والفواحش، وإذا وقعت منهم بعض الصغائر تابوا منها وأنابوا إلى الله، فאלله يغفر لهم ويتوب عليهم.

واختلف المفسرون في المراد باللمم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما رأيت باللمم أحسن مما قال أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذب) متفق عليه، فمن ألم بشيء من هذه الذنوب واستغفر الله وأقلع عنه فإن الله تعالى يغفر له ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ والله الذي أنشأ آدم من الأرض واستخرج ذريته من صلبه، فمنهم فريق في الجنة وفريق في السعير، عليم بحالهم قد وكل

بكل واحد منهم ملكا يكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، فلا تزكوا أنفسكم وتتمدحوا بأعمالكم وتمنوا إسلامكم. وأثنى الله تعالى في الآيات على خليله إبراهيم عليه السلام فقد أدى رسالة ربه ووفى بعهد الله، قال المفسرون: وفى بقلبه للرحمن وبجسده للنيران. وختم الآيات بالتنبيه على عدله تعالى، فلا يظلم نفسا شيئا ولا يحاسب أحدا بذنب غيره، ومن أطاعه وأخلص العمل له جازاه الجزاء الأوفى والأجر الكبير على العمل القليل.

المناقشة:

- 1- الشفاعة أنواع، اذكر بعضها منها.
- 2- ما الذي يفيد ظن من لا يعلم ولا يؤمن؟
- 3- ما المراد باللمم؟
- 4- العدل صفة من صفات الله تعالى، ما الآية التي أكدت ذلك؟

الدرس السادس عشر سورة النجم الآيات (42 – 62)

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَأَنَّا إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ۖ (42) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (43) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (45) مِن تَطْفَئٍ إِذَا تَمَيَّنَ (46) وَأَنَّ عَلَيْهِ النِّشَاءَ الْآخِرَىٰ (47) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (48) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ السَّعَرَىٰ (49) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (50) وَنَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ (51) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (52) وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَىٰ (53) فَغَشَّيْهَا مَا عَشِيَ (54) فَيَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكَ نَتَمَارَىٰ (55) هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ (56) أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (57) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (58) أَفَبِئْسَ هَذَا الْحَدِيثُ تَعَجَّبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60) وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ (61) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (62)﴾

شرح الكلمات والعبارات:

الْمُنْتَهَىٰ	: منتهى الخلق ومصيرهم إليه تعالى.
أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ	: هو القادر على أيقاع الضدين في آن واحد الضحك والبكاء.
أَمَاتَ وَأَحْيَا	: أَمَاتَ فِي الدُّنْيَا وَأَحْيَا لِلْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ.
إِذَا تَمَيَّنَ	: تُصَبُّ فِي الرَّحْمِ.
النِّشَاءَ الْآخِرَىٰ	: الْخَلْقُ الثَّانِي بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ.
أَغْنَىٰ	: أَغْنَى النَّاسَ بِالْأَمْوَالِ.
وَأَقْنَىٰ	: أَعْطَى أَصُولَ الْأَمْوَالِ وَمَا يَدْخُرُ بَعْدَ الْكِفَايَةِ.
السَّعَرَىٰ	: نَجْمٌ يَقْطَعُ السَّمَاءَ طَوْلًا كَانَتْ خِزَاعَةٌ تَعْبُدُهُ.
عَادًا الْأُولَىٰ	: قَوْمٌ هُودٌ أَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ.
وَنَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ	: هُمْ قَوْمٌ صَالِحٌ أَهْلَكُوا بِالصَّيْحَةِ.
أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ	: لَطُولُ دَعْوَةِ نُوحٍ لَهُمْ وَإِصْرَارُهُمْ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَالتَّكْذِيبِ.
وَالْمُؤَنَفَكَةَ	: قَرَى قَوْمَ نُوحٍ.
أَهْوَىٰ	: أَسْقَطَ، جَعَلَ عَالِيَهَا سَاقِلَهَا.
فَغَشَّيْهَا مَا عَشِيَ	: سَقَطَتْ عَلَيْهَا الْحَجَارَةُ الْمَنْضُودَةُ الْمَسُومَةُ.

ءَالَاءِ رَبِّكَ : نعمه وفضله.

تَمَارِي : تكذب.

هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ : محمد صلى الله عليه وسلم ينذر كما أنذرت الرسل قبله.

أَزَفَتْ الْآزِفَةُ : قربت القيامة واقتربت الساعة.

كَاشَفَةُ : ما يظهرها ويبين متى تقوم.

أَمِّنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ : القرآن.

وَضَحَكُونَ : تستهزئون، ولا تبكون مما في القرآن من الوعيد.

وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ : لاهون، غافلون، تغنون، رافعين رؤوسكم.

بعض مضامين هذه الآيات:

يخبر جل وعلا أن إليه منتهى الخلق ومصيرهم في الآخرة، وهو مجازيهم بأعمالهم، وفي هذا تهديد للمسيء ليقلع عن إساءته ويعود إلى رشده، وبشرى للمحسن ليزداد في الخير، وفيه أيضا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وبشرى لمن آمن به واتبع سنته.

والله الذي إليه منتهى الخلق ومصيرهم في الآخرة هو الذي أضحك وأبكى، فهو قادر على خلق الشيء وضده في آن واحد أمات وأحيا، وخلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى كما قال في آية أخرى ﴿يَحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (36) ﴿الْمَلِكُ نُطْفَةٌ مِنْ مَّنِيِّ ثَمَنِي﴾ (37) سورة القيامة، فكما خلق سبحانه وتعالى البداية قادر على الإعادة وهي النشأة الأخرى للحساب والجزاء.

وقوله ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ ملك عباده المال وجعله لهم فتنة ونعمة منه عليهم، فمن يشاء من عباده أغناه ومن شاء أفقره، وهو سبحانه له ما في الأرض والسماء وهو رب الشعري، هذا النجم الوقاد الذي كانت طائفة من العرب تعبد.

وأخبر تعالى أنه أهلك قوم هود وهم عاد الذين كانوا من أكثر الناس وأشدهم قوة وبعدهم ثمود قوم صالح دمرهم فلم يبق منهم أحدا، وقبلهم قوم نوح الذين كانوا أشد كفرا وطغيانا هلكوا بالطوفان، وبعد هلاك قوم ثمود كفر قوم لوط وأفسدوا في الأرض وأحدثوا فاحشة لم يسبقهم لها غيرهم فدمر الله قراهم، فجعل عاليها سافلها وصبت عليها الحجارة من السماء.

فلماذا تكذب وتعاود أيها الكافر الشاك وتكفر بنعم الله عليك، فقد جاءتك النذر واقتربت الساعة وقريبا يحين الجزاء والحساب، فالساعة آتية لا مرد لها، وأنتم أيها المشركون تبالغون في الكفر والعناد، وتسخرون من عذاب الله وتستهزئون به ولا تتعظون بمن قبلكم، فالأولى بكم أن تخشعوا وتعتبروا بحال من سبقكم وتطيعوا الله وتؤمنوا برسوله وتصدقوا بكتابه وتعبدوه حق عبادته.

- 1- قدرة الله لا يعجزها شيء، لذلك خلق الشيء وضده، أين تجد ذلك في الآيات؟
- 2- ورد في الآيات هلاك أمم سابقة، اذكر ثلاثا منها، وبين ما أهلكت به.
- 3- ليوم القيامة أسماء كثيرة، اذكر ثلاثا منها.
- 4- كيف تعامل المشركون مع الوحي، وهو ينزل عليهم في مكة؟

المعهد التزويدي الوطني

الدرس السابع عشر الدعوة إلى الله

المنطلق:

- قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (108) سورة يوسف.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (45) ودَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46) سورة الاحزاب.
- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (33) سورة فصلت.
- قوله صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» مسلم.
- وعن جابر - رضي الله - قال «مثلي ومثلكم كمثلي رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراس يقعن فيها، وهو يذبهن عنها، وأنا أخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي» مسلم.

شرح الكلمات والعبارات:

- بَصِيرَةً : علم وخبرة.
وَسِرَاجًا : مصباحاً.
مُنِيرًا : مضيئاً.
هدى : رشاد وخير.
الجنادب : الجراد والحشرات.
والفراس : ما يطير من الحشرات ويتهافت على النار.
يذْبُهْن : يمنعهن ويدفعهن.
بحجزكم : مكان عقد الإزار منكم.
تفلتون : تغالبونني لتهربوا فتنقوا في النار.

التعليق:

1 - تعريف الدعوة وحكمها:

أ - تعريفها:

الدعوة: هي قيام من له القدرة من المسلمين على النصح والتوجيه السليم بترغيب الناس في الإسلام وتعاليمه السامية، وتحذيرهم من مخالفة ذلك بطريقة حكيمة.

ب - حكمها:

ختم الله الأديان السماوية بدين الإسلام، وارتضاه للناس كافة فلا يقبل منهم سواه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ (85) سورة آل عمران، وأوجب الله على المسلمين الدعوة إليه وطالبهم بها، وأمر به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتِي وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (67) سورة المائدة، وقال: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (104) سورة آل عمران.

فالقيام بالدعوة على الوجه الصحيح استجابة لأوامر الله، واتباع لسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، والإعراض عنها إعراض عن أوامره عز وجل وتخل عن تحمل المسؤولية.

2- ضرورة الدعوة :

تعيش الأجيال في هذا العصر حالة من التفسخ والانحلال الخلقي تحت شعارات مزيفة يدعونها أحيانا حرية، وأحيانا يسمونها تقدما، ويرجع ذلك بدون شك إلى موجة الإلحاد العالمية، وانتشار القنوات ووسائل الإعلام، كما يرجع إلى ضعفنا نحن المسلمين تحت تأثير عقدة التخلف، حيث أصبحنا مقلدين لغيرنا نتلقف كل ما يأتينا به. إن هذا الوضع يقتضي منا أن نتحمل المسؤولية، فنراجع إعلامنا، ومناهجنا التعليمية ونعمل على خلق جيل من الشباب محصن ضد الدعوات المغرضة معتز بدينه ووطنه وثقافته، يدافع بحزم وأناة عن مكتسباته، ويمارس أفراده الدعوة وفق الضوابط الشرعية كل من موقعه، وحسب ما تقتضيه مصلحة الدين والوطن ويجب أن تكون دعوتنا وسطية، تجمع ولا تفرق وتحبب ولا تنفر ممثلين قول النبي صلى الله عليه [يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا] البخاري.

3 - أسلوبها:

وضع الله تعالى للداعية منهجا واضحا يسير عليه أثناء أداء مهمته النبيلة قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمُ الْبَتَّ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (125) سورة النحل، وذلك ما يقتضي انتهاج الأساليب التالية:

أ - الحكمة: وهي المنطق السليم المقبول المقنع مثل ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلْ أَلْكَتِبُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا

مُسْلِمُونَ ﴿63﴾ سورة آل عمران.

فمن الحكمة: أن يستخدم الداعية لكل مقام القول المناسب له، وقد جسد القرآن هذا المنهج من خلال التدرج في فرض التكاليف، فالخمر مثلاً حُرِّمَتْ في القرآن على ثلاث مراحل:

مرحلة التنفير منها - مرحلة التحريم في بعض الأوقات دون بعض - مرحلة التحريم نهائياً.

ب - الموعظة الحسنة مثل:

- التذكير بالوعيد وما ينتظر الإنسان في الحياة الأخرى من أهوال عظيمة، كسؤال الملكين، وتطايير الصحف، وعبور الصراط...
- الترغيب في الزهد في الدنيا، والتنبيه إلى أن أكبر لذة يجدها الإنسان في الدنيا ستتحول إلى ماضٍ معدوم إن لم تتحول إلى حسرة وندامة.
- التركيز على الوعد، وما أعد الله للمتقين من النعيم.

ج - الجدال بالتي هي أحسن وقد أمر الله به في قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلُؤُاْ آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ ۖ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمَّ وَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿46﴾ سورة العنكبوت ، ومن ذلك مثلاً: الإصغاء لحجة الخصم وتسليم حجته غير المقبولة من أجل إقامة الحجة عليه مثل ما فعل إبراهيم عليه السلام مع النمرود قال تعالى: ﴿لَمْ تَر إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحَى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿258﴾ سورة البقرة.

د - ضرب الأمثال وسوق القصص من أجل تقريب المعنى وتوضيحه، وهو أسلوب اعتمده القرآن الكريم، وجسده السنة المطهرة في كثير من الأحيان وسار عليه سلف هذه الأمة.

استخلاص:

- 1 - أن الدعوة إلى الله هي ترغيب الناس في الإسلام وتعاليمه، وتحذيرهم مما سواه بطرق مرنة حددها الشرع، وأنها واجبة على كل من توفرت فيه أهلية القيام بها: من معرفة بالأحكام، وقدرة على تبليغها بالحكمة والموعظة الحسنة.
- 2 - أن الدعوة الإسلامية مسؤولية الجميع أياً كان، كل من موقعه وحسب إمكاناته وفق ما تقتضيه المصلحة.
- 3 - أن المسلمين اليوم أحوج ما يكونون إلى التذكير والوعظ والإرشاد والتوجيه الهادف بعيداً عن الغلو والتجريح، وإثارة الفرقة والخلاف.

المناقشة:

1 - وضع مفهوم الدعوة.

- 2 - تحدث عن ضرورة الدعوة مبينا حكمها.
- 3 - ماذا ينبغي أن يتحلى به الداعية؟
- 4 - بين ما لسوق القصص وضرب الأمثال من أهمية في الدعوة إلى الله.

المعهد التزويدي الوطني

المنطلق:

- قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» صححه الحاكم ووافقه الذهبي.
- وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس يخلق حسن» الترمذي.
- وعن جابر بن عبد الله قال: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني منزلاً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون...» الترمذي.

شرح الكلمات والعبارات:

- اتق الله : امتثل أوامر الله، واجتنب نواهيه.
- حيثما كنت : في أي مكان كنت حيث يراك الناس، وحيث لا يرونك.
- وخالق الناس يخلق حسن : عامل الناس بالتي هي أحسن.
- الموطؤون أكنافاً : أصحاب الخلق الحسن والكرم.
- يألفون ويؤلفون : يحبون الناس ويخالطونهم ويحبهم الناس ويخالطونهم.

التعليق:

دللت هذه الأحاديث على مكانة الأخلاق، وعلى أهمية التقوى وأرشدت إلى ما تحط به الخطايا وذلك على النحو التالي:

1 - مكانة الأخلاق في الإسلام:

حسن الخلق مقصد شرعي وسنة من سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم خاتمهم الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق، يحيي ما اندرس منها، ويقر ما حسن.

2 - تقوى الله:

التقوى مفهوم شامل يقتضي امتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه، ولأهميته وكونه ثمرة العبادة أوصى الله به الأولين والآخرين قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حميداً﴾ (131) سورة النساء

وللتقوى فوائد عظيمة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ (128) سورة النحل، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (2) ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) سورة الطلاق، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ (5) سورة الطلاق.

3 - الأمر باتباع السينة الحسنة:

وقد روى الترمذي وابن ماجه عن أنس قوله صلى الله عليه وسلم: (كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون...)، ولهذا أمرنا الشرع أن نتبع كل خطيأ وقعنا فيه أو أية سينة اقترفناها بحسنة تمحوها قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْبَارِ وَالْأَيْمَنِ﴾ (114) سورة هود، وأن نستغفر الله ونتوب إليه قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَكُنْ لَهُ أَجْرٌ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (135) سورة آل عمران، كما أمرنا بحجهم من تحتها ألا تهرئ خديرك فيها ونعم أجر العاملين (136) سورة آل عمران، كما أمرنا بالرد على من أساء إلينا بالحسنى لتزول الشحناء وتعود الألفة والوئام بيننا قال تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (34) سورة فصلت.

4 - معاملة الناس بالتي هي أحسن والتحلي بمكارم الأخلاق:

ينبغي للمسلم أن يكون خلقه حسنا اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي وصفه الله في القرآن بحسن الخلق قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (4) سورة القلم. ولما سئلت عائشة - رضي الله عنها - عن هذا الخلق قالت: «كان خلقه القرآن» مسلم. أي أنه يتبع منهج القرآن في امثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه ومعاملة الناس بالحسنى والتحلي بمكارم الأخلاق ومحاسن الأمور.

5 - حسن الخلق يجلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرب منه في الجنة:

إن التحلي بمكارم الأخلاق من صدق وكرم وتواضع وصبر وإيثار ومثابرة وجد، تجعل الشخص محبوبا عند الناس يرغبون في معاملته وفي صداقته فيجني بذلك ثمرة حسن الخلق في الدنيا، أما في الآخرة فجزاؤه القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة.

استخلاص:

- 1 - أن الله أمر عباده المؤمنين بالتحلي بمكارم الأخلاق اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي وصفه الله في القرآن بأنه على خلق عظيم، وقال صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) صححه الحاكم.
- 2 - أن تقوى الله ثمرة العبادة ويقتضي امثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه قال الناظم:

وحاصل التقوى اجتناب وامثال في ظاهر وباطن بذا تنال

- 3 - أن المسلم إذا ارتكب ذنباً أو اقترف خطيئة يجب عليه أن يبادر بالتوبة والاستغفار وفعل الطاعات من عبادة وصدقة لتمحي عنه الذنوب والخطايا ويبدلها الله له بالحسنات.
- 4 - أن من اتقى الله وتحلى بمكارم الأخلاق جازاه في الدنيا بإصلاح أموره وقضاء حوائجه وجعل منزلته في الآخرة جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة.

المناقشة:

- 1 - أبرز مكانة الأخلاق في الإسلام.
- 2 - عرف تقوى الله، واذكر آية تدل على فضله.
- 3 - كيف تتصرف لو ارتكبت ذنباً أو صدرت منك خطيئة؟
- 4 - ما النتائج التي نجتنيها في العاجل والآجل من تقوى الله وحسن الخلق؟

الدرس التاسع عشر الحث على الصدق والتحذير من الكذب

المنطلق:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (سورة محمد).
عن ابن مسعود- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا) متفقٌ عَلَيْهِ.

وعن أنس: «لا يتقي الله العبد حق نفاقه حتى يحزن من لسانه» أخرجه الحاكم مرفوعاً.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» صحيح مسلم.

شرح الكلمات والعبارات:

لَوْ صَدَقُوا اللَّهَ : في الإيمان والطاعة.

الصدق : ما طابق الواقع.

والكذب : ما خالفه.

التعليق:

أولاً: الصدق

الصدق هو الإخبار عن الأمر من غير تبديل ولا تغيير ولا تحريف رغبة في ما عند الله، مطابقاً لاعتقاده.

قال القرطبي: حق على كل من فهم عن الله أن يلازم الصدق في الأقوال والإخلاص في الأعمال، والصفاء في الأحوال، فمن كان كذلك لحق بالأبرار، ووصل إلى رضا الغفار.

والصدق: مطابقة القول الضمير والمخبر عنه، فإن انخرم شرط لم يكن صدقاً، بل إما أن يكون كذباً أو متردداً بينهما على اعتبارين، كقول المنافق: محمد رسول الله فإنه يصح أن يقال، صدق لكون المخبر عنه كذلك، ويصح أن يقال: كذب لمخالفة قوله لاعتقاده.

والصديق من كثر منه الصدق، فالصادقون في إيمانهم صادقون في أقوالهم وأفعالهم صادقون في مواعيدهم ومعاملاتهم، صادقون في سرهم وعلانياتهم.

والصدق منجاة يُعلي صاحبه عند الناس جميعا فيجعله موضع ثقتهم، مرغوب الحديث عندهم، محببا إليهم، محترم الكلمة عند حكامهم، مقبول الشهادة عند قضاتهم، لهذا أمرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم كما أمرنا الله أن نكون مع الصادقين فقد نجي الله الصحابة الثلاثة الذين تخلفوا في غزوة تبوك بصدقهم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (119) سورة التوبة، وأشاد بمكانته في حديثه عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب إذ يقول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ (50) سورة مريم، ومدح به إسماعيل في قوله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (54) سورة مريم، وإدريس في قوله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (56) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (57) سورة مريم، والصدق يكون في القول وفي العقيدة، وفي العمل. فالصدق في القول أن يكون مطابقا لضميره، أو وفق الحقيقة، أو وفقهما معا، وهذا يدعوك إلى التثبت في الحديث، والتحري قبله، وألا تقول بغير علم فإذا حدثت عن الماضي فقل الحق.

وإذا حدثت بما نويته فاجعل حديثك طبق نيتك وإذا وعدت فاجعل نية الوفاء قرينة العزم، والإسلام لاحترامه الشديد للحق طرد الكاذبين وشدد عليهم بالنيكير وبوصي بأن تغرس فضيلة الصدق في نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها وقد ألفوها في أقوالهم وأحوالهم كلها فعلى الآباء والأمهات أن ينشئوا أولادهم تنشئة يقدسون فيها الصدق ويتنزهون عن الكذب ولأن الاستمساك بالصدق في كل شأن، وتحريه في كل قضية، والمصير إليه في كل حكم أساس خلق المسلم، وصبغة ثابتة في سلوكه ولو أن المربي تجاوز عن هذه الأمور وحسبها من التوافه الهينة لكبر الأطفال وهم يعتبرون الكذب ذنباً صغيراً وهو عند الله عظيم.

ثانيا - الكذب:

الكذب هو الإخبار عن أمر بخلاف ما عليه الحال، محرفا عن أصله أو مخبرا عنه بغير ما وقع.

والكذب مذمة تسلب صاحبها الشهادة، وتجلب له الهوان، لأن الشهادة عظيمة لا تكون إلا لمن حسنت خلاله، وشرفت خصاله، فقد نقل عن ابن مسعود أن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل.

فالمرء قد يستسهل الكذب حين يمزح ظانا أن مجال اللهو لا حظر فيه على إخبار أو اختلاق، ولكن الإسلام الذي أباح الترويح عن القلوب لم يرض وسيلة لذلك إلا في حدود الصدق المحض؛ فإن في الحلال مندوحة عن الحرام، وفي الحق غنى عن الباطل؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، ثُمَّ يَكْذِبُ لِيُضْحِكَهُمْ وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ) أخرجه أحمد، وقال صلى الله عليه وسلم: (أنا زعيم -أي ضامن- ببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً) رواه البيهقي.

والمشاهد أن الناس يطلقون العنان لأخيلاتهم في تليفق أحاديث مفتراة على السنة خصومهم أو أصدقائهم؛ ليتندروا بها أو يسخروا منهم، وقد حرم الإسلام هذا المسلك تحريمًا تامًا إذ الحق أن اللهو بالكذب كثيرًا ما ينتهي إلى أحزان وعداوات، والمسلم يجب أن يحاذر عندما يثني على غيره؛ فلا يذكر إلا ما يعلم من خير، مهما كان الممدوح جديرًا بالثناء، لأن المبالغة في إطرائه ضرب من الكذب المحرم فعن المقداد بن عمرو قال: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ الثَّرَابَ» رواه مسلم.

استخلاص:

- 1- أن بناء المجتمع المسلم قائم على محاربة الظنون ونبذ الإشاعات والريب والشك؛ فإن الحقائق الراسخة وحدها هي التي يجب أن تظهر وتغلب، وأن تُعتمد في إقرار العلاقات المختلفة؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)، وقال: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة) رواه الترمذي والنسائي وصححه الحاكم.
- 2- الصدق صفة من صفات الأنبياء وهو دليل سمو الأخلاق، يكسب صاحبه محبة الله، واحترام الناس فلا ناصح أخلص من الصدق، ولا حارس أحفظ من الصمت، ولا غائب أقرب من الموت.
- 3- أن الصادقين هم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم قال أبو بكر ابن العربي: وهذا القول هو الحقيقة والغاية التي إليها المنتهى فإن هذه الصفة يرتفع بها النفاق في العقيدة والمخالفة في الفعل.
- 4 - أن الكذب صفة من صفات المنافقين فهو مهلكة في الآخرة وعارٌ وسبب لسلب الشهادة فالكاذب لا يلتفت لخبره، ولا عبرة بشهادته لأنه ليس من أوصاف المؤمنين فقد روى الإمام مالك - رحمه الله - مرسلاً قال: (قيل يا رسول الله، أياكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم قيل: أياكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم، قيل: أياكون المؤمن كذاباً؟ قال لا)، ولقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ (105) سورة النحل.

المناقشة:

- 1- عرف الصدق والكذب وبين أثرهما على الفرد والمجتمع.
- 2- الصدق أساس الإيمان، فما الذي نجنيه من الكذب؟
- 3- الصدق منجاة، بين ذلك.

الدرس العشرون التيسير على المسلمين وتنفيذ الكروب عنهم

المنطلق:

قوله صلى الله عليه وسلم: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» مسلم.

شرح الكلمات والعبارات:

نَفْسُ كُرْبَةٍ : كشفها وأزالها.
الكربة : الغمُّ والضيق.
معسر : فقير أو محتاج.
السَّكِينَةُ : المهابة والوقار.
غشيتهم : غطتْهم.
حفتهم : أحاطت بهم.

التعليق:

1 - ثواب إعانة الضعفاء:

يبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث نماذج من أعمال البر ينبغي للمسلم أن يرغب فيها ويحرص عليها مثل:

أ - تفريج الكرب: فمن أزال عن أخيه المؤمن شدة من شدائد الدنيا كافأه الله بتفريج كربة عنه من الكرب الكبيرة التي يقع فيها الإنسان يوم القيامة، وشتان ما بين شدائد الدنيا وشدائد يوم القيامة.

ب - التيسير على المعسر: فمن يسر على معسر يسر الله عليه، وذلك بأن يهب للفقير أو يتصدق عليه، أو يساعده، أو ينظره إن كان له عليه دين إلى أن ييسر الله عليه قضاءه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة 280).

فمن فعل شيئاً من ذلك يسر الله عليه أمور الدنيا والآخرة جزاء لفعله، فعن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» مسلم.

ج - ستر عورات المسلمين، فمن ستر عورة مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة، سواء كان ذلك الستر حسياً كإعطائه ما يستر به عورته من الثياب، أو معنوياً بإخفاء عيوبه وترك غيبته، والذب عن عرضه، قال صلى الله عليه وسلم: «من رأى عورة فسترها فكأنما أحيا موعودة» رواه أبو داود.

هذا في حق من لم يشتهر بالفسق والفساد، أما من اشتهر بذلك وتظاهر به فلا ينبغي أن يستر عليه بل يجب التشهير به ورفع أمره إلى الناس وإلى ولي الأمر، ثم يعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما سبق بهذا التعقيب الشامل الذي هو: «...والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»، فمن سعى في قضاء حوائج المسلمين واهتم بأمورهم أعانه الله وقضى حاجاته.

2 - من ثمرات التعلم:

أ - أن من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، ويحتمل أن يكون ذلك في الدنيا بأن يوفقه للأعمال الصالحة، أو في الآخرة بتسهيل الطريق له لدخول الجنة مجازاة له على طلبه العلم وسعيه في تحصيله، فلا يجد مشاق موقف الحشر ولا متاعب الصراط ولا أهوال القيامة.

ب - أنه ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة فاطمأنت نفوسهم، وسكن ما بهم من فزع وروع قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (سورة الرعد، وعلتهم الرحمة فسترتهم من كل جانب، وطافت بهم الملائكة تعظيماً وإكراماً لهم، وذكرهم الله بالثناء الحسن فيمن عنده في الملأ الأعلى من الملائكة والنبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين مباهاة بهم، لما رواه أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى في حديث قدسي:

«...فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم» رواه البخاري ومسلم.

3 - معيار الفضل عند الله بالتقوى لا بالنسب:

فمن أبطأ به عمله السيئ وأخره عن مصاف أهل الخير لم ينفعه شرف نسبه، فلا تنال السعادة في الآخرة إلا بالأعمال الصالحة لا بالأحساب والأنساب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات، 13).

استخلاص:

- 1 - أن من أعان أخاه المسلم وواساه وتضامن معه في الشدائد والمحن التي تلم به ينال رضى الله ويحظى بمساعدته وعونه.
- 2 - أن الجزاء من جنس العمل، غير أنه شتان ما بين تفريج كرب الدنيا وتفريج

- كرب يوم القيامة.
- 3 - أن أجر طلب العلوم النافعة عظيم عند الله، ويسهل الله لطالبها الطريق إلى الجنة.
- 4 - أن الذكر وتدارس القرآن موجبان لنزول الرحمة.
- 5 - أن العلم والتقوى معيار لفضل الإنسان ومنزلته في الآخرة لا نسبه وحسبه وماله.

المناقشة:

- 1 - ما جزاء من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا؟
- 2 - بم ينال عون الله؟
- 3 - يعطي الله على طلب العلوم المفيدة في الدنيا والآخرة الخير الكثير، كيف ذلك؟
- 4 - على أي أساس يتفاضل العباد عند الله في الدنيا وفي الآخرة؟

الدرس الحادي والعشرون صلة الرحم

المنطلق:

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه» رواه البخاري.
- حديث جبير بن مطعم - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة قاطع رحم» متفق عليه.

شرح الكلمات والعبارات:

يبسط : يوسع.
يُنسأ : يؤخر ويبارك فيه.

التعليق:

1 - مدلول صلة الرحم:

يقصد بالرحم الأهل والأقارب، فتقتضي صلة الأرحام زيارتهم من حين لآخر، وتفقد أحوالهم ومواساتهم - إن كانوا محتاجين - والرفق والرأفة بهم حتى يشيع التعاطف والمحبة بين جميع الأقارب، وينعكس ذلك التعاطف والمحبة على المجتمع الإسلامي كله.

وصلة الرحم من الفضائل التي حث عليها الكتاب والسنة مما يؤكد أهميتها وقيمتها الأخلاقية والاجتماعية، ويبين ثمرتها الدينية، ويبرز ما يترتب على القيام بها من فوائد وحسنات، وما ينتج عن تركها من أضرار وسيئات.

2 - مكانتها وأثرها:

لقد حض القرآن في أكثر من موضع على صلة الرحم قال تعالى: ﴿وَأَتَى الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذَرْ بُذْرًا﴾ (26) ﴿سورة الأسراء﴾، وقال: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ (177) ﴿سورة البقرة﴾.

ووردت معطوفة على توحيد الله والإحسان إلى الوالدين في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ (36) ﴿سورة النساء﴾. وهكذا يتضح أن الأرحام وذوي القربى مقدمون على غيرهم من مستحقي العطاء، فبهم يبدأ من يريد الصدقة لوجه الله تعالى وخاصة إذا كانوا محتاجين.

ولا يسقط واجب الصلة كون ذي الرحم أو ذي القربى لا يصلك أو يحرمك، ففي الحديث: «صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك» البيهقي في شعب

الإيمان.

وفي صلة الرحم من الفوائد ما يرغب في وصلها، وفي قطعها من الوعيد والإثم ما ينفر منه قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝٢٥﴾ سورة الرعد، وعن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله» مسلم.

استخلاص:

- 1 - أن صلة الرحم واجب شرعي، وأنها لا تعني فقط القيام بزيارة الأقارب من حين لآخر، وإنما تعني - زيادة على ذلك - مساعدتهم ماديا ومعنويا، ونصحهم وإرشادهم إلى خيري الدنيا والآخرة.
- 2 - أن الحفاظ على وصل ذوي الأرحام ومواساتهم يساعد في تلاحم المجتمع وتكافله.
- 3 - أن هناك ثوابا من الله سبحانه لمن وصل رحمه، وهو السعة في الرزق، والبركة في العمر.
- 4 - شدة عقاب قاطع الرحم، حيث يحرم من دخول الجنة.

المناقشة:

- 1 - ماذا تعني الرحم؟ وما حكم صلة الأرحام؟
- 2 - بين ما يترتب على صلة الرحم من نفع في الدنيا وثواب في الآخرة.
- 3 - يترتب على قطع الرحم أمر عظيم، فما هو؟
- 4 - استدل بآية أو حديث على فضل صلة الرحم.
- 5 - كيف يساعد التواصل بين ذوي الأرحام في تقوية لحمة المجتمع؟ وكيف يؤدي عكسه إلى تفككه؟

الدرس الثاني والعشرون الرحمة بالصغير وتوقير الكبير

المنطلق:

- عَنْ عائشة- رضي الله عنها- قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَتُقْبَلُونَ الصَّبِيَّانَ؟ فَمَا نُقْبَلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

- وعن عائشة قَالَتْ: «جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَفَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (دَخَلَ غَيِّثَةُ بْنُ حِصْنٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَأَهُ يَقْبَلُ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَقَالَ لَهُ: تُقْبَلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ لَقَدْ وُلِدَ لِي عَشْرَةٌ، مَا قَبَلْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنْ مَنْ لَا يَرْحَمُ، لَا يُرَحَمُ) مسند الإمام أحمد.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ أُمَّ هَانِيٍّ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، وَلِي عِيَالٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ، أَخْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى رَوْحٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَلَمْ تَرْكَبْ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ بَعِيرًا» أخرجه مسلم.

شرح الكلمات والعبارات:

سِتْرًا مِنَ النَّارِ : وقاية منها.

أَخْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ : أكثر شفقة ورحمة.

التعليق:

العلاقة بين الصغير والكبير تحكمها ضوابط شرعية وآداب بينتها السنة، أساسها أن يوقر الصغير الكبير ويرحم الكبير الصغير وهكذا تتكامل الأدوار في المجتمع المسلم فيقوم كل طرف بما عليه في نوع من الانسجام الطبيعي وحب الخير حتى للغير ومن أهم تلك الضوابط:

الرحمة بالصغير:

لم تعرف البشرية رحمة بالصغير مثل رحمة النبي - صلى الله عليه وسلم به، ولا يخفى على إنسان حاجة الصغير إلى الرحمة والشفقة وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في ذلك قولاً وعملاً، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم...) رواه أحمد.

بيّن ذلك حملة لأمامة بنت أبي العاص - أمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء الصلاة ففي ذلك رحمة الولد و ولد الولد ومن شفقتة صلى الله عليه وسلم ورحمته لأمامة أنه كان إذا ركع أو سجد يخشى عليها أن تسقط فيضعها بالأرض.

ورحمة الولد الصغير ومعانفته وتقبيله والرفق به من الأعمال التي ترضي الله ويجازى عليها ألا ترى قوله عليه الصلاة والسلام للأقرع بن حابس حين ذكر عند النبي أن له عشرة من الولد ما قبل منهم أحداً: (من لا يرحم لا يرحم) فدل على أن تقبيل الولد الصغير وحملة والاحتفاء به مما يستحق به رحمة الله ألا ترى حمل النبي عليه السلام أمامه ابنة أبي العاص على عنقه في الصلاة والصلاة أفضل الأعمال عند الله، وقد أمر عليه السلام بلزوم الخشوع فيها والإقبال عليها ولم يكن حملة لها مما يخالف الخشوع المأمور به فيها، وكره أن يشق عليها لو تركها ولم يحملها، وفي فعله عليه السلام ذلك أعظم الأسوة لنا فينبغي الاقتداء به في رحمته صغار الولد وكبارهم والرفق بهم، ويجوز تقبيل الولد الصغير في سائر جسده.

ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في العمل وترك التعدي بالضرب فالرحمة قد تكون في الأعمال وقد تكون في الجزاء، والرحمة تكون لخلق الله جميعاً ويدخل فيه الأولاد دخولاً أولياً لأنهم محل الكلام أو المراد الأولاد بقرينة السياق.

ولم تكن رحمته صلى الله عليه وسلم بالصغير قاصرة على أهل بيته فإنه صلى الله عليه وسلم أرسله ربه رحمة للعالمين قال الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنبياء. (107)

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عمير - أحسبه قال فطيماً - قال: فكان إذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأه قال: أبا عمير ما فعل النغير) رواه البخاري، والنغير طائر صغير.

قال النووي: «وفى هذا الحديث فوائد كثيرة جداً منها: جواز تكنية من لم يولد له وتكنية الطفل وأنه ليس كذبا، وجواز المزاح فيما ليس إثمًا، وجواز تصغير بعض المسميات، وجواز لعب الصبي بالعصفور وتمكين الولي إياه من ذلك، وجواز السجع بالكلام الحسن بلا كلفة، وملاطفة الصبيان وتأنيسهم، وبيان ما كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع...». ولما كان الصغار من البنات واليتامى فيهم من الضعف عن القيام بمصالحهم أكثر من

غيرهم ، كانت رحمته صلى الله عليه وسلم بهم أظهر وأوضح ، كما في حديث عائشة السابق ، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة » رواه مسلم ، وأشار بالسبابة والوسطى . ومن الظواهر الاجتماعية المؤلمة إهمال الكبير وعدم توقيره ، والكبير - سناً أو ديناً - لا يضيع حقه في مجتمع يسير على هدي النبي صلى الله عليه وسلم القائل : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) البخاري . فلكبر السن وذي الشبهة المسلم اهتمام وتوقير في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويظهر ذلك في العديد من المواقف والمظاهر في حديثه وسيرته صلى الله عليه وسلم ومن ذلك :

توقير الكبير :

عن عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من شاب شبية في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة) رواه الترمذي . وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تنتفوا الشيب فإنه نور المسلم ، من شاب شبية في الإسلام كتب الله له بها حسنة ، وكفر عنه بها خطيئة ، ورفع بها درجة) رواه أحمد . وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط) رواه أبو داود . وحذر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من لا يعرف حق الكبير ولم يوقره ، فعن ابن عباس رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر » رواه ابن حبان . وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ليس من أمتي من لم يُجلَّ كبيرنا ويرحم صغيرنا) رواه أحمد .

البدء بالكبير :

يُقَدَّم الكبير على الصغير في صلاة الجماعة ، وفي التحدث إلى الناس ، وفي الأخذ والعطاء عند التعامل ... فعن أبي مسعود - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول : (استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، ليليني منكم أولو الأحلام والنهى) (البالغون العقلاء) ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم : (يوم القوم أقرؤهم لكتاب الله وأقدمهم قراءة فإن كانت قراءتهم سواء فليؤمهم أقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فليؤمهم أكبرهم سناً) رواه مسلم . وعن جابر - رضي الله عنه - قال : (قَدِمَ وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : مه ، فأين الكبير ؟!) رواه الحاكم . وعن سهل بن أبي حثمة - رضي الله عنه - قال : (انطلق عبد الله بن سهل ومحبيصة بن مسعود بن زيد إلى خيبر ، وهي يومئذ صلح فتنفقا ، فأتى محبيصة إلى عبد الله بن سهل وهو

يتشخط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة، فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحبيصة وحوبيصة ابنا مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال صلى الله عليه وسلم: كَبْر، كَبْر، وهو أحدث (أصغر) القوم فسكت فتكلما ... (رواه البخاري، قال ابن حجر: « قوله: كَبْر، كَبْر، أي: قدم كبير السن »).

وراعى النبي صلى الله عليه وسلم حال الكبير في الصلاة، وحقه في بدئه بالسلام عند اللقاء فقال: « إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف، فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء » (رواه البخاري).

وقال صلى الله عليه وسلم: (يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير) (رواه البخاري).

الحياء من الكبير:

الحياء خلق يحث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق الكبير، ويدفع إلى إعطاء ذي الحق حقه فعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما كان الفحش في شيء إلا شأنه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه) (رواه الترمذي). وعن ابن بريدة - رضي الله عنه - قال: قال سمرة بن جندب - رضي الله عنه - : « لقد كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن فيهم رجالا هم أسن مني ». فهذه الآداب الراقية في المعاملة بين الصغير والكبير تحث على معاملة الكبير للصغير معاملة رحمة وشفقة ومعاملة الصغير الكبير معاملة توقير وإحسان وإيثار كل ذلك من هدي وسنة النبي صلى الله عليه وسلم القائل: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا) (رواه الترمذي).

استخلاص:

من الظواهر الاجتماعية المؤرقة والمؤلمة ضياع مكارم الأخلاق والقيم بين الصغير والكبير، فالصغير لا يعرف للكبير حقا ولا توقيرا، والكبير لا يعرف للصغير شفقة ولا رحمة مما يترتب عليه ظلم من الصغير للكبير وانتقاص من الكبير لحق الصغير... وبالعودة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم وتنضبط الأمور وتستقيم الحياة ويُعطى كل ذي حق حقه، فيعم الخير وينتشر الود والحب بين أفراد المجتمع، فالعلاقة بين المسلمين متكاملة تراعي الحاجات وتحل المشكلات يتجلى ذلك في:

1- أن الصغير محتاج إلى الرعاية والرأفة والرحمة أكثر من غيره، وفي السنة ما يؤكد ذلك، ويحث عليه فقد أجزل الله فيه الثواب فجعل جزاء رحمة الصغير الرحمة من الله.

2- احترام الكبير وتوقيره واستحقاقه التقديم والبدء به وتقديمه في إمامة الصلاة وغيرها مما هو من باب التكریم والتشريف و التزام الحياء بحضرته لما روى أنس

بن مالك - رضي الله عنه - قال: جاء شيخ يريد النبي صلى الله عليه وسلم فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا) رواه الترمذي.

المناقشة:

- 1- ما المقصود بالرحمة؟
- 2- ما الذي يستحقه الصغيرُ على الكبير؟
- 3- ما الذي يستحقه الكبيرُ على الصغير؟
- 4- اشرح طبيعة العلاقة بين الكبير والصغير.

المعهد التربوي الوطني

الدرس الثالث والعشرون ذم الحسد والبغض والغيبة والنميمة

المنطلق:

- 1 - حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» أبو داود وابن ماجه.
- 2- وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال» رواه مسلم.
- 3 - حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل أ رأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» مسلم.
- 4 - حديث: «لا يدخل الجنة نام» البخاري ومسلم.

شرح الكلمات والعبارات:

الحسد	: تمنى زوال النعمة عن الغير.
الغَيْبَةُ	: تمنى مثل ما أعطى الله لشخص دون تمنى زوالها عنه.
التباغض	: الكره الشديد المتبادل.
التدابير	: الإعراض المتبادل، كالهجران فوق ثلاث ليال.
الغيبة	: ذكر الشخص بما يكرهه.
النميمة	: هي نقل الكلام على وجه الإفساد والتفريق بين المسلمين.

التعليق:

تحذر هذه الأحاديث من أخلاق مذمومة ومسلوكيات شاذة تفسد مزاج الشخص وتسيء علاقاته بالآخرين وربما أدخلته النار إذا لم يبادر بالتوبة ويغير من سلوكه. وتشمل هذه الأخلاق:

1 - الحسد:

وهو خلق مذموم وأول من اتصف به إبليس حين حسد آدم عليه السلام على العلم والمكانة التي خصه الله بها فكانت عاقبته اللعنة إلى يوم الدين، ثم كان الحسد بعد ذلك

في ذرية آدم عليه السلام، والحسد - زيادة على أنه رذيلة اجتماعية وصفة مذمومة - ذنب عظيم، بل هو من أخطر الذنوب على الحسنات التي هي رصيد المؤمن للدار الآخرة، فهو يحرقها ويمحوها، وقد يتحول الحسد من حالة قلق نفسي إلى اعتداء جسدي على المحسود، فيكون الحاسد قد جمع بين الحسد والظلم والاعتداء. وإذا كان الحسد مذموماً ومحرمًا فإن الغيبة محمودة، وهي أن يتمنى الغائب أن يكون له مثل ما لصاحب النعمة المغبوط أو أفضل منه دون تمنى زوالها عن المغبوط.

2 - الغيبة:

وهي الحديث عن الشخص بما يكرهه، فإن كان فيه، فهو غيبة وإن لم يكن فيه فهو بهتان، أما ذكر الشخص بما يكرهه في حال حضوره فهو سب وأذية.

وكل من الغيبة والبهتان والسب والأذية رذائل وذنوب ينبغي للمسلم أن يتجنبها لخطورتها على نفسه ودينه «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» مسلم، ولتأثيرها السيئ على وحدة المجتمع وتآلفه وانسجامه.

والمستمع للغيبة شريك للمغتتاب، فعلى من سمع غيبة مسلم أن يرد عن عرضه إن استطاع امتثالاً لما رواه أبو الدرداء من قوله صلى الله عليه وسلم: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة» رواه الترمذي، فإن لم يستطع انصرف عن المجلس الذي تنتهك فيه أعراض المسلمين.

والمغتتاب عادة شخص يشعر بنقص فيه، فيسعى إلى تعويضه من خلال انتقاص الناس والوقوع في أعراضهم على اعتبار أن البلية إذا عمت هانت.

3 - النميمة:

وهي شر وذنب عظيم تزرع الأحقاد والضغائن في صفوف المجتمع وتقوض الروابط بين الأفراد وتفسد العلاقات بينهم ففي الأثر: «يفسد النمام في ساعة ما لا يفسد الساحر في شهر» لذلك حرمها الشرع وجعلها من أسباب عذاب القبر، واعتبرها كبيرة من الكبائر، ففي الحديث: «ألا أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة القالة بين الناس» رواه مسلم.

4 - التباغض:

التباغض والتحاسد والتدابير أمور نهى الشرع عنها وعن غيرها من كل ما لا يخدم وحدة صف المسلمين ويؤلف بين أفراد المجتمع، فقد أوصى الله المسلمين أن يكونوا متحابين متآلفين متراحمين متعاونين... وحرم عليهم كل ما من شأنه أن يكون سبباً لتباغضهم وعدم تآلفهم، وليس من التباغض المنهي عنه البغض لله (بغض الكفر وأهله والفسق وذويه والمعاصي وأصحابها) وليس من الهجران المنهي عنه هجران أصحاب البدع والدعاة إلى الأهواء والخلاعة والفسق والمجون...

وقد أوصى الله عباده أن يكونوا متآخين متواصلين، لا متهاجرين ولا متدابرين ولا متقاطعين، فالمسلم ينبغي له أن يوصل النفع إلى أخيه المسلم ويكف عنه الضرر ويكون مصدر عون وسرور له.

استخلاص:

1 - أن الحسد والبغض والغيبة والنميمة والتنافر والتدابير أخلاق مذمومة شرعاً تؤثر سلباً على وحدة المجتمع وانسجامه وتفسد الألفة والوئام بين مكوناته، فكم من إقين

أفسدت بينهما نميمة وأدت إلى القطيعة والفرقة بينهما، وكم من حبيبين تنافرا بسبب حسد أحدهما للآخر على نعمة من الله عليه بها، وكم من شحناء وقعت بين اثنين نتيجة اغتياب أحدهما للآخر.

2 - أن الشرع أمر بوحدة الصف واجتماع الكلمة وجعل المسلمين إخوة متحابين، ورغب في كل ما يخدم ذلك، وحذر من التباغض والتدابير والفرقة والشقاق... وحرّم كل ما من شأنه أن يكون سببا في ذلك.

المناقشة:

- 1 - ما الفرق بين الحسد والغيبة؟ ولم كان الحسد مذموما والغيبة محمودة؟
- 2 - عرف الغيبة والنميمة وبين أثرهما السيئ على تماسك المجتمع وتآلف أفرادهِ.
- 3 - لماذا يلجأ البعض إلى اغتياب الناس والوقوع في أعراضهم؟
- 4 - ما الحكمة من تحريم التحاسد والتباغض والتدابير بين أفراد المجتمع؟

الدرس الرابع والعشرون التحذير من الرياء والسمعة

المنطلق:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال هو جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار» رواه مسلم.

عن أبي ذر جندب بن جنادة- رضي الله عنه- قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ وَمَنْ يُرَائي يُرَائي اللَّهُ بِهِ) رواه البخاري.

وحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) رواه مسلم.

شرح الكلمات والعبارات:

سَمِعَ : بفتح ميم مشددة أي عمل من أجل السمعة في الناس وليطلع الناس على عمله.

يرائي : أي يظهر الأعمال الصالحة قصد الحظوة عند الناس.

التعليق:

تعريف الرياء:

- الرياء لغة هو فعل الشيء ليراه الناس.

- وفي الاصطلاح وهو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها، وقد عرفه أبو هلال العسكري بقوله: جميل الفعل رغبة في حمد الناس لا في ثواب الله تعالى.

أما السمعة فهي من السماع والمراد العمل من أجل سماع الناس كالقراءة والوعظ والذكر ... فيكون الرياء متعلقا بحاسة البصر والسمعة متعلقة بحاسة السمع.

والرياء من معاصي القلوب الشديدة الخطر على النفس وعلى العمل، وهو من كبائر الذنوب ولهذا شدد الله الوعيد عليه وجعله من أوصاف المنافقين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، فهؤلاء أعمالهم لغير الله، وإنما قصدهم أن يعلم الناس بعملهم فيمدحوا ويعظموا، وهم عند الله منافقون مراءون.

وهناك صنف آخر من الناس يكون قصده ومراده الله تعالى فإذا اطلع عليه الناس نشط في العبادة وزينها وهذا النوع من العمل يسمى شرك السرائر يقول عليه الصلاة والسلام: (يأبىها الناس إياكم وشرك السرائر قالوا يارسول الله وما شرك السرائر؟ قال: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس إليه فذلك شرك السرائر) رواه ابن ماجه.

والله تعالى هو أغنى الشركاء عن الشرك لا يريد من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه تعالى لا يقصد به صاحبه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ولا نظرهم إليه بغير احترام والتعظيم والإجلال قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَنَكانَ رِجْوا لِقَاءَ رَبِّيَ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّيَ ۚ أَحَدًا ۝۱۱۰﴾ سورة الكهف.

وللرياء أقسام كثيرة منها:

- الرياء بالبدن وذلك بإظهار التعب والإرهاق ليري الناس أن ذلك من كثرة العبادة والطاعات.

- الرياء بالملابس والهيئة ويكون ذلك بعدم الاهتمام بالشكل والمسكنة ليظن بصاحبه الزهد والتواضع.

- الرياء بالأعمال كالقيام بالعبادات ليراها الناس كأن يطيل في الركوع والسجود ويحسن صوته بالقراءة ليُسمع ويرى الناظرين.

ولأن الرياء محبط للعمل كان لزاما على المسلم أن يبتعد عنه ويتجنبه في جميع الأعمال والعبادات والطاعات مستشعرا مراقبة الله تعالى فيؤدي ذلك إلى زرع تعظيم الله في القلوب والخوف منه واستحضار مراقبته ، ومما يعين على ذلك التضرع إلى الله تعالى بالدعاء والإخلاص وتصحيح النية والبعد عن الرياء والسمعة، مستحضرا عقوبة ذلك في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ۝۳۸﴾ سورة النساء ، ومن الرياء ترك العمل الصالح مخافة الحمد عليه فالمؤمن يعمل لما خلق له ولثواب الله لا يهمله حمد الناس ولا ذكرهم.

وإذا كان الرياء في الأعمال فإن السمعة تكون في الأقوال كمن يذكر الله تعالى ويرفع صوته بذلك ليسمعه للناس حتى يقولوا عنه إنه كثير الذكر جميل الصوت... فإن هذا النوع من الناس مسموع للعباد مرء لهم ويكون جزاءه من جنس عمله ويبطل عمله فيسمع الله به ويفضحه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة وذلك أشد وأخزى والعياذ بالله.

استخلاص:

- 1- المرائي هو الذي يكون هدفه ونيتة في أول عمله وآخره طلب الثناء والمحمدة والرفعة عند الناس وإحراز المنافع الدنيوية به فلا يجد من ثواب عمله إلا ذاك.
- 2- جزاء المرائي بطلان العمل والافتضاح يوم القيامة أمام الأولين والآخرين.
- 3- أن من أراد بعمله ثناء الناس فذلك هو شرك السرائر الذي حذر النبي صلى الله عليه وسلم منه.
- 4 - أن الرياء محبط للعمل وعواقبه وآثاره جسيمة لذلك حذر الإسلام منه أشد تحذير.

المناقشة:

- 1- يشترك الرياء مع النفاق بين ذلك.
- 2- ما هو شرك السرائر؟
- 3- تحدث عن بعض أقسام الرياء؟
- 4- ماهي عاقبة المسمتع في الدنيا والآخرة؟

الدرس الخامس والعشرون اجتنب الموبقات السبع

المنطلق:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» متفق عليه.

شرح الكلمات والعبارات:

الموبقات : المهلكات.
التولي يوم الزحف : الفرار عن قتال الكفار.
قذف المحصنات : رمي العفيفات بالزنى.
المحصنات الغافلات: العفيفات عن الفواحش والغافلة عن الفاحشة: هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة.

التعليق:

1 - أقسام الذنوب:

الذنوب كلها قبيحة ومشؤومة تجلب لصاحبها الشر في الدنيا والعذاب في الآخرة، وهي متفاوتة، فبعضها أعظم من بعض تبعاً للمفسدة المترتبة عليه، وبالتالي فتتقسم إلى:

أ - صغائر وهي: ما تكفرها الأعمال الصالحة من صلاة وصيام وحج ووضوء وصدقة وغير ذلك من أعمال البر قال تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْبَارِ وَرُكْعًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتٍ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرِينَ﴾ سورة هود.

ب - كبائر ولا يكفرها إلا التوبة: أي الكف نهائياً عن ارتكابها، والاستغفار الدائم المصحوب بالندم عليها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ مِنْهُمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ فَمَا لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ سورة آل عمران ، والكبيرة تشمل كل ذنب ورد عليه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة أو ختم بلعنة أو غضب أو نفي إيمان أو حرمان من دخول الجنة.

2 - الموبقات:

من الكبائر ما يسمى موبقات بمعنى مهلكات لأنها تهلك صاحبها وتسبب له خسران الدارين، وهي في هذا الحديث سبع:

أ - الشرك بالله وهو قسمان:

- شرك أكبر وهو مخرج من الملة.

- شرك أصغر وهو من أعظم الذنوب، وأخطر الكبائر، وهو أخفى من ديبب النملة على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وتكفره التوبة الخالصة إلى الله تبارك وتعالى وإخلاص العبادة له.

ب - السحر:

وقد تقدم الحديث عنه في درس سابق، وتعلمه وفعله حرام، قال تعالى في ذمه ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (69) سورة طه، وهو من عمل الشياطين يعلمونه للناس ليفرقوا به بين المرء وزوجه وليسيء به بعضهم إلى بعض.

ج - قتل النفس المسلمة:

وهو حرام، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (93) النساء.

ولما رواه أبو بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» متفق عليه.

فلا يجوز قتل المسلم إلا بالحق بأن يرتكب مخالفة تستوجب ذلك بنص الكتاب أو السنة: قال صلى الله عليه وسلم «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة» متفق عليه.

د - أكل الربا:

وهو حرام لما ينجر عنه من مضار اقتصادية واجتماعية تؤدي إلى تراكم المال في يد مجموعة قليلة وحرمان بقية المجموعات الأخرى، فبه يزداد الأغنياء غنى ويزداد الفقراء فقرا وهو من معاملات الجاهلية التي أبطلها الإسلام، وتوعد الله بالحرب عليها، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279) سورة البقرة.

هـ - أكل مال اليتيم:

عناية من الله بهذه الطائفة الضعيفة، حرم أكل مالها وتوعد آكله بإشعال النار في بطنه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾

(10) سورة النساء، فعلى الذين يتولون رعاية شؤون اليتامى أن يعلموا أن أكل أموالهم بدون حق حرام، فكثيرا ما تتحرك إلى مال اليتيم أطماع العم أو الخال فيأخذ من مال اليتيم لنفسه وعياله متذرا بالإنفاق على اليتيم، وذلك لا يجوز إلا إذا كان مقابل خدمة تتعلق برعاية مصالح اليتيم بعد إطلاع القاضي وأم اليتيم على ذلك.

و - التولي يوم الزحف:

لا يجوز للمسلم أن يفر أمام الكافر في معركة تدور بين الكفر والإسلام، إذ الفرار يوم الزحف من الكبائر المهلكات لأن فيه إضعافاً للمسلمين ورفعاً لمعنويات الكفار.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ﴾ (15) وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءٌ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16) سورة الأنفال، فينبغي للمسلمين أن يتقدموا في مجالات الفكر والعلم والتكنولوجيا والاقتصاد ويكونوا - كما كانوا في السابق - رائدين للأمم في هذه المجالات.

ز - رمي المحصنات بالزنى:

انتهاك حرمة المسلمة، ومثلها المسلم، وتدنيس عرضها ظلماً وبهتاناً ذنب عظيم جزأه اللعنة في الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (23) سورة النور.

فليحذر أولئك الذين يطلقون ألسنتهم في أعراض الناس، ويجدون لذة في اتهام المؤمنات المحصنات باقتراف الفواحش دون وجه لذلك، من العذاب الشديد واللعنة في الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (19) سورة النور.

استخلاص:

- 1 - أن الذنوب تتدرج من صغائر إلى كبائر، ومن الكبائر ما هو موبق أي مهلك لصاحبه.
- 2 - أن الموبقات هي أفطع الكبائر وأشنعها، وهي: الشرك بالله، والسحر وقتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، ورمي المحصنات الغافلات المؤمنات بالزنى.
- 3 - أن الشرك بالله هو أعظم الموبقات، وأن الله لا يغفره، ويغفر ما دونه إن شاء، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (48) سورة النساء.

المناقشة:

- 1 - ما الفرق بين الكبائر والصغائر؟ وفيم تختلف الموبقات عن الكبائر؟
- 2 - بين المراد من لفظ الموبقات، ولم سميت موبقات؟
- 3 - أي الموبقات أوعد الله مرتكبها بالحرب؟ ولماذا؟
- 4 - ما هي في نظرك أهم الأضرار والمفاسد المترتبة على الربا؟
- 5 - ما الحكمة من تحريم التولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات؟

الدرس السادس والعشرون النهي عن الشحناء والقطيعة والتدابير

المنطلق:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيَقَالُ أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا» رواه مسلم.

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ) صحيح البخاري.

شرح الكلمات والعبارات:

- الشحناء : العداوة والبغضاء.
انظروا هذين : أي أخروهما وأمهلوهما.
يهجر : الهجر هو القطيعة.
التدابير : الإعراض المتبادل أو التسبب فيه.
القطيعة : الهجران والصد ومنه ترك البر والإحسان إلى الأهل والأقارب.

التعليق:

إن الرابطة الجامعة بين المسلمين هي رابطة الأخوة في الدين ويتجسد ذلك في إشاعة المحبة والمودة والتكافل بينهم بعيدا عن كل قطيعة وشحناء وتدابير وتنازير بالألقاب، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ سورة الحجرات. وقال صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) رواه مسلم.

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على كل ما يعزز المودة بين المسلمين، محذرا وزاجرا عن كل ما يورث العداوة والخصومة بينهم، ومشددا النكير فيه لعظم ضرره كالغيبة والنميمة والسخرية والحسد والظلم وتتبع عورات المسلمين وكلها مظاهر تسبب الشحناء والبغضاء وتؤدي إلى الفتن والخروج من دائرة الإسلام قال عليه الصلاة والسلام: (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) رواه البخاري. وإذا كانت الشحناء من أسباب الحرمان من المغفرة وهذه مصيبة كبيرة، فالواجب على المسلم أن يحرص على محبة أخيه في جو تطبعه الرحمة والتواصل والتعاون على

البر والتقوى متناصحين كل يحب الخير لأخيه ويكره له الشر ويؤدي له الأمانة ويلقاه بوجه طليق، وقد أرشدنا نبينا صلى الله عليه وسلم إلى سبيل ذلك ومفتاحه فقال: « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » رواه مسلم.

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم حث على كل ما من شأنه إشاعة المحبة بين الناس وجعل ذلك سبيلا إلى دخول الجنة، فإنه بالمقابل حذر من أسباب القطيعة والتنافر بين المسلمين، مؤكدا صلى الله عليه وسلم أن قطيعة الرحم ذنب عظيم وجرم جسيم يفصم الروابط ويقطع أوامر المحبة ويشيع العداوة والشنآن مما يفسد الألفة والمودة ويؤذن باللعنة من الله وتعجيل العقوبة قال تعالى ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ (23) سورة محمد. ويقول عليه الصلاة والسلام (لا يدخل الجنة قاطع رحم) رواه البخاري.

ولا شك أن قطع الرحم يؤدي إلى الهم والغم خاصة إذا كان ممن ينتظر منه الخير والبر والصلة فإن ذلك أشد وقعا، وأوجع مساء، يقول طرفة بن العبد:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

فالواجب على المسلم أن يبتعد عن كل مظاهر الشحناء والقطيعة والتدابير وأن يفعل ذلك بنية خالصة لله تعالى مبتغيا الدار الآخرة فالخاسر من أطاع هواه وشيطانه وابتعد عن أخلاق دينه وتوجيهات نبيه صلى الله عليه وسلم.

استخلاص:

- 1- الشحناء والقطيعة والتدابير تتعارض مع الأخوة الإسلامية والمحبة التي ينبغي أن تكون سائدة بين المسلمين.
- 2- القطيعة بين المسلمين من أسباب نزع البركات وقلة الخيرات وتسليط الأعداء قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (46) سورة الأنفال.
- 3- الوحدة والمحبة والتعاون على البر والتقوى من أسباب جلب الخيرات وقوة المسلمين.
- 4- الشحناء سبب للحرمان من مغفرة الذنوب.
- 5- إشاعة المحبة والصلح بين المسلمين وإفشاء السلام بينهم من أسباب مغفرة الذنوب ودخول الجنة.

المناقشة:

- 1- ماهي عواقب الهجر والشحناء بين المسلمين؟
- 2- كيف تتعزز المودة والرحمة بين المسلمين؟
- 3- ما المسلكيات المنجية من الشحناء والقطيعة؟

الدرس السابع والعشرون محاولة الكفار منع الهجرة

المنطلق:

قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾ سورة الأنفال.

شرح الكلمات والعبارات:

يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا : يتمالؤون على إلحاق الضرر والأذى بك.

لِيُثْبِتُوكَ : يوثقوك أو يحبسوك.

وَيَمْكُرُونَ : يحتالون ويدبرون.

وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ : أعلم بما يدبرونه.

التعليق:

1 - الهجرة إلى الحبشة:

بعدما اشتد إيذاء قريش للمسلمين في مكة وأصابهم من البلاء ما أصابهم أشار عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالهجرة إلى الحبشة لأن بها ملكا عادلا لا يظلم جاره، فهاجروا على دفعتين تحت إمرة عثمان بن مظعون وجعفر بن أبي طالب، وحاولت قريش استرجاعهم فلم تفلح في ذلك ورد النجاشي رسولهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بهدايا قريش إليه وإلى بطارقتهم خائبين.

2 - بيعتا العقبة:

انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الطائف يعرض نفسه على ثقيف لعله يجد مكانا أكثر استعدادا لقبول الرسالة ونشر الدعوة، فرفضوا ما عرض عليهم وعاملوه معاملة لا تليق بمكانته ومنزلته، فرجع إلى مكة وبدأ يعرض نفسه على الحجاج الوافدين للموسم، فلقي الاستجابة من حجاج يثرب (المدينة) مما مهد الطريق لبيعتي العقبة:

الأولى التي حضرها اثنا عشر رجلا، والثانية التي حضرها ثلاثة وسبعون رجلا

وامرأتان.

وتعتبر بيعة العقبة الثانية بداية عهد جديد في مسار الدعوة الإسلامية إذ شرع المسلمون في الهجرة إلى المدينة تباعاً حتى لم يبق في مكة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق والمستضعفون من المسلمين.

3 - اجتماع قريش في دار الندوة:

لقد أزعج المشركين ما صار عليه أمر المسلمين من منعة في دار الهجرة وخافوا من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم والتحاقه بهم، فاجتمع أشراف قريش في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب - وكانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها - ليتشاوروا فيما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقمص إبليس هيئة شيخ نجدي ووقف لهم بالباب، فسألوه من الشيخ؟ فقال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اجتمعتم له فحضر وعسى ألا يعدمكم منه رأي ونصح، فأذنوا له بحضور المجلس، وبدأت الجلسة، وتعددت الآراء.

فاقتراح بعضهم حبسه صلى الله عليه وسلم وتقييده حتى يصيبه من الهلاك ما أصاب أشباهه في رأيهم من الشعراء الذين كانوا قبله، فتدخل الشيخ النجدي وقال: لا والله ما هذا لكم برأي فانظروا غيره فإنكم إن فعلتم ذلك ليخرجن أمره من وراء الباب إلى أصحابه فيثبون عليكم وينتزعونه من بين أيديكم ويكاثرونكم حتى يغلّبكم على أمركم.

فاقتراح بعض آخر: أن يخرجوه من بين أظهرهم فينفونه من بلادهم ولا يبالون أين ذهب ولا حيث وقع فيفرغون منه ويصلحون شأنهم ويعيدون ألفتهم كما كانت، فتدخل الشيخ النجدي من جديد قائلاً: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، فإذا فعلتم ذلك لا تأمنون أن يحل بحي من العرب فيغلب عليهم فيتبعوه ويسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم فيسلب أمركم من أيديكم، دبروا فيه أمراً غير هذا فقال أبو جهل بن هشام: «أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فرضوا منا بالعقل فعقلنا لهم» فقال الشيخ النجدي (إبليس اللعين): هذا هو الرأي الذي لا أرى غيره، فنفرق المتأمرين وهم مجمعون على تنفيذ هذه الخطة الدنيئة فأخبر الله نبيّه بذلك وحيّاً وأذن له بالهجرة.

استخلاص:

1 - أن المسلمين بدأوا يهاجرون إلى المدينة بعد أن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وفد حجاج يثرب وبايعوه في بيعتي العقبة على أن يحموه مما يحمون منه

أنفسهم وأبناءهم ونساءهم إذا هو هاجر إليهم.

2 - أن الفترة التي سبقت الهجرة كانت فترة امتحان للمسلمين ولرسول الله صلى الله عليه وسلم، تلقوا فيها كل أنواع الأذى من تعذيب جسدي وغصب للأموال ومحاصرة ومقاطعة، وانتهت بوضع خطة لتصفية رسول الله صلى الله عليه وسلم شارك فيها أئمة الكفر في مكة وحضر تدبيرها (إبليس اللعين) كعضو مراقب شديد المكر والكيد، ولكن كيده كان ضعيفا.

المناقشة:

- 1 - ما الأحداث البارزة التي سبقت الهجرة؟
- 2 - أين اجتمعت قريش؟ وما جدول أعمال اجتماعها؟
- 3 - ما الأسباب التي جعلت قريشا تفكر في الخلاص من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

الدرس الثامن والعشرون فشل مؤامرة المشركين ونجاح الهجرة

المنطلق:

- قال تعالى: ﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۚ﴾ سورة التوبة. (40)
- حديث عائشة رضي الله عنها: «إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين» وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بأرض الحبشة إلى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي» فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ فقال: «نعم»، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق الخبط أربعة أشهر» البخاري.

شرح الكلمات والعبارات:

الْغَارُ : كهف في جبل ثور.
لابتين : اللآية هي الأرض ذات الحجارة السود.
قَبْلَ : جهة.
على رسلك : اتند وانتظر.
الخطب : ما سقط من ورق الشجر.

التعليق:

1 - فشل المؤامرة:

تجمع فتيان قريش عتمة بباب بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه تنفيذا للمؤامرة، فأخبر جبريل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره ألا ينام تلك الليلة في فراشه الذي كان ينام عليه.

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلوا أمر عليا بن أبي طالب أن ينام مكانه ويتسجى ببرده ففعل، وخرج صلى الله عليه وسلم وأخذ حفنة من تراب ونثرها فأصاب كل واحد من المتآمرين وهو يتلو قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ سورة يس، فاعمى الله أبصارهم فلم يروه وهو يتجول بينهم.

2 - في الطريق إلى المدينة:

الخروج من مكة إلى غار ثور:

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد رتب مستلزمات السفر في انتظار أن يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فهياً راحلتين (ناقشتين) وعلفهما مدة أربعة أشهر استعداداً لتحمل أقصى ظروف السفر.

فلما أذن الله لنبيه بالهجرة دفع إلى أبي بكر ثمن إحدى الناقشتين ورسماً معاً خطة السفر، ولما حان الوقت المناسب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته ومرت بين المترصدين له دون أن يشعروا، وجاء إلى أبي بكر واتجها معاً إلى غار ثور وهو جبل بأسفل مكة، وعندما وصلاه، أبى أبو بكر إلا أن يرتاده بنفسه مخافة أن يكون فيه ما يؤذي، ومزق رداءه وأغلق به ما أمكن من شقوق الغار وبقي جحران متجاوران سدهما بقدمه ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم للدخول، ولم يلبث أبو بكر أن لدغته حية من أحد الجحريين فألمته فرقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فزال عنه الألم من حينه.

وجن جنون قريش وخرجت عن بكرة أبيها تفتش عنهما، وقادها الأثر إلى غار ثور، وكان الرفيقان يرقبانهم وهم واقفون على مدخل الغار، فقال أبو بكر: «لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا» فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) رواه مسلم.

وأقاما بالغار ثلاث ليال يأتيهما عبد الله بن أبي بكر كل ليلة فيخبرهما بما تدبره لهما قريش من المكائد ويرجع ليصبح بمكة، ويخرج عامر بن فهيرة مولى أبي بكر بغنمه ليخفي أثره ثم يأتيهما بعد نزول الظلام بغنم أبي بكر لينالا من لبنها ولحمها ثم يصبح في مكة، وبعد ثلاث ليال قضياها في الغار جاءهما دليلهما عبد الله بن أريقط براحتيهما وأخذ بهما طريق الساحل قاصدين المدينة.

3 - معجزات وخوارق تؤذن بنجاح الهجرة:

حدثت خلال الطريق من مكة خوارق ومعجزات تؤذن بنجاح الهجرة منها:

- حادثة سراقبة بن مالك، وهي كما يرويها سراقبة: (جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منا حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقبة إني رأيت أنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وصاحبيه، قال سراقبة: فعرفت أنهم هم فقلت له: إنهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي... فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت...، وأتيت فرسي فركبتها... حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقممت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزام واستقسمت بها: أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره،

فركبت فرسي وعصيت الأزلّام ولا زالت تقرب بي فرسي، حتى سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات، فساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها، فاستقسمت بالأزّلام، فخرج الذي أكره فناديتهما الأمان الأمان فوققا فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزاني ولم يسألاني إلا أن قال : أخف عنا فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه البخاري.

4 - النزول عند أم معبد:

نزل الرفيقان في طريقهما إلى المدينة عند أم معبد الخزاعية طلبا للراحة والتزود وسألاها أن تبيعهما شيئا، فقالت لهم: والله لو كان عندنا ما ضننا به، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيمتها شاة خلفها الجهد والهزال عن قطيعها فسأها هل بها من لبن؟ فأجابته: والله ما ضربها من فحل قط، فاستأذنها في حلابها فأذنت له، فسمى الله ومسح الضرع بيده الشريفة فدرت ودعا بإناء كبير فحلب فنزل اللبن غزيرا فشرب الجميع وبقي اللبن كثيرا، ثم رحلوا وتابعوا السير متجهين صوب المدينة، وفي الطريق لقيا الزبير بن العوام قادمًا من الشام في ركب من تجار المسلمين عائدين إلى مكة فكساهما ثيابا بيضاء.

5 - الوصول إلى قباء:

كان المسلمون يخرجون كل يوم ينتظرون قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم - لما علموا بخروجه من مكة - وفي اليوم الثاني عشر من ربيع الأول وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفقاه قباء، فاستقبله المسلمون بحفاوة وهم يحملون السلاح، فنزل في بني عمرو بن عوف من الأنصار، ولبت فيهم بضع عشرة ليلة التحق به خلالها علي بن أبي طالب بعد أن أدى ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمانات، وأسس صلى الله عليه وسلم مسجد قباء، وهو أول مسجد بني في الإسلام وصلى فيه بمن معه من الأنصار والمهاجرين وهم آمنون مطمئنون.

6 - دخول المدينة:

بعد الفترة التي قضاها صلى الله عليه وسلم في قباء اتجه إلى المدينة، والأنصار محيطون به متقلدين سيوفهم، فأدركته الجمعة في ديار بني سالم بن عوف فصلاها، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة، ثم تابع السير وكلما مر بحي أمسكوا بزمام ناقته وتوسلوا له أن ينزل عندهم وهم يقولون: هلم إلى العدة والمنعة، فيقول لهم: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» رواه البخاري.

ولما وصلت به ديار بني مالك بن النجار بركت في مريد: (موضع تجفيف التمر) لغلّامين يتيمين من الأنصار، فلم ينزل عنها صلى الله عليه وسلم وهو مرخ لها زمامها فوثبت وسارت غير بعيد ثم رجعت إلى ميركها الأول فبركت فيه مرة أخرى وأرّزمت ومدت ركبتها على الأرض، فقال عليه الصلاة والسلام: (هذا إن شاء الله المنزل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) رواه البخاري.

استخلاص:

- 1 - أن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كانت تنفيذاً منه لأمر الله تعالى، فلم يهاجر صلى الله عليه وسلم رغم المضايقات التي تعرض لها شخصياً وتعرض لها المسلمون حتى أذن الله له في ذلك، وأن الله قد عصم رسوله صلى الله عليه وسلم من كيد المشركين في مكة وأثناء الطريق إلى المدينة رغم المحاولات والمؤامرات التي دبرتها قريش وجندت لها المرتزقة من قبائل العرب.
- 2 - أن الهجرة لإعلاء كلمة الله وممارسة شعائره سنة الأنبياء بدءاً بإبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، وانتهاءً بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- 3 - أن الهجرة إلى المدينة كانت حدثاً بارزاً في تاريخ الأمة الإسلامية، فقد وجد المسلمون وطناً يأمنون فيه على أنفسهم ودينهم وأصبحوا يمارسون شعائر الإسلام علناً فدخل الناس فيه أفواجا وعقدت المعاهدات، وأرسلت الرسل إلى مختلف البلاد لدعوة أهلها، وبدأ تكوين الجيش ووضعت أسس بناء مجتمع إسلامي يرضاه الله ويرضى عنه رسوله صلى الله عليه وسلم.
- 4 - أن المسجد هو أهم مرفق من مرافق الدولة العمومية، فأول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة هو تأسيس مسجد في قباء وأداء الصلاة فيه.

المناقشة:

- 1 - لم يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين إلى المدينة؟ وهل هو أول نبي هاجر أم لا؟
- 2 - أبرز القيمة الدينية والحضارية والتاريخية للهجرة النبوية.
- 3 - دبرت قريش مكائد في مكة وخارجها لمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الهجرة وتأسيس نواة الدولة الإسلامية، اذكر اثنتين منها.
- 4 - ما أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وصوله إلى قباء؟

الدرس التاسع والعشرون بداية تنظيم الدولة الإسلامية بالمدينة

المنطلق:

قوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (103) سورة آل عمران.

- قوله تعالى ﴿وَإِنْ تُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَبَدَكَ بِصَرِّهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (63) سورة الأنفال.

- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخْبُونَ مِنْ هَاجِرِ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (9) الحشر.

(أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال (هذا أخي).¹)

شرح الكلمات والعبارات:

حبْلُ اللَّهِ	: دين الله، والإيمان به، وعهده.
شَفَا حُفْرَةٍ	: طرفها كناية عن الضلال والتردي والهلاك.
تَبَوَّءُوا الدَّارَ	: سكنوها واستوطنوها.

التعليق:

لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، أصبح للمسلمين مقومات الدولة الأساسية وهي: الأرض ممثلة في المدينة والشعب، ممثلاً في المهاجرين والأنصار، والسلطة ممثلة في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم مطاعاً في قومه ويتلقى الوحي من الله تعالى، فشرع في تنظيم الدولة ووضع الأسس الأولى لقيامها، وبدأ بثلاثة أمور أساسية هي:

- بناء المسجد.

- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

1 - السيرة النبوية لابن هشام.

- مهادنة اليهود في المدينة.

1 - بناء المسجد:

المسجد أهم مرفق من مرافق الدولة، فيه تقام الصلوات، وفيه يجتمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه يعلمهم، أمور دينهم ويتلو عليهم من القرآن ليعملوا به، وفيه توضع خطط الحرب والسلام وغير ذلك من شؤون الأمة؛ ولهذه الأهمية بادر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنائه حين وصل المدينة، فاشترى المربد الذي بركت فيه ناقته من يتيمي الأنصار وشرع في بناء المسجد فيه، وباشر صلى الله عليه وسلم العمل في بنائه بيده الشريفة، وكان يردد مع أصحابه:

هذي الحمال لا حمال خبير هذا أبر ربنا وأظهر

ويقول :

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جوار المسجد منزله الذي انتقل إليه بعد سبعة أشهر من مقامه في بيت أبي أيوب الأنصاري.

2 - المؤاخاة:

أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين قبل الهجرة على الحق والمواساة، ولما نزل المدينة وجد فيها الأوس والخزرج في خلاف شديد بسبب النعرات القبلية وتحريض اليهود لكل منهما على الآخر فمن الله عليهم بمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبحوا متحابين متآلفين، ومن أجل تقوية الروابط بين المهاجرين والأنصار أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فسر الأنصار بهذه المؤاخاة فأثروا المهاجرين على أنفسهم فاستبدل المهاجرون بأهلهم أهلاً وعشيرة أذهب وحشتهم وأنست غربتهم، فعن أنس بن مالك قال: (قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن بذلاً من كثير ولا مواساة في قليل قد كفونا المؤونة وأشركونا في المهن حتى خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً أثنيتم عليهم به ودعوتم الله عز وجل لهم) رواه أحمد.

3 - مهادنة اليهود:

كانت تقيم بالمدينة طوائف من اليهود منها بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع وغيرهم، وعلى الرغم من اقتناعهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والرسل، ورغم إيمان حبرهم عبد الله بن سلام ودعوته لهم ليسلموا حيث قال: «يا معشر يهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بالحق» البخاري، فقد كذبوا برسالة صلى الله عليه وسلم حسداً وكفراً.

ولكن ذلك لم يمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهادنهم، ويؤمن لهم أموالهم ويعاهدهم على ألا يحاربهم ولا يؤذيهم على ألا يعينوا عليه أحداً وأن يكون المسلمون واليهود يداً واحدة على من هاجم المدينة.

استخلاص:

- 1 - أن المسجد أهم مرافق الدولة الإسلامية، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بإنشائه وعمل فيه مع أصحابه فرأوا فيه المثل الحسن للجد والتواضع، فشيد المسجد في فترة قياسية.
- 2 - أن الانسجام والتفاهم والمحبة ضرورية لبناء الثقة بين مكونات الشعب، ولذلك آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين القادمين إلى المدينة والأنصار المستضيفين لهم.
- 3 - أن الأنصار ضربوا أروع مثال في الكرم والمواساة والتضحية في سبيل الله، فأثروا المهاجرين على أنفسهم وبذلوا لهم أموالهم وأوسعوا لهم في بيوتهم.
- 4 - أن الأخوة في الإسلام كفيلة بالقضاء على النعرات القبلية والفوارق الطبقية والدعوات الطائفية.
- 5 - أن الإسلام دين انفتاح وتسامح، فقد عاش المسلمون واليهود في المدينة وارتبطوا بمعاهدات تقتضي الاحترام المتبادل والتعاون المشترك، ولكن اليهود نقضوا العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وغدروا بالمسلمين وظاهروا عليهم أعداءهم فأصبح المسلمون في حل من تلك المعاهدات.

المناقشة:

- 1 - ما الأمور ذات الأولوية التي بدأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم تنظيم دولته لما وصل المدينة؟
- 2 - لماذا يعتبر المسجد أهم مرفق في الدولة؟
- 3 - ما شروط المهادنة التي عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع يهود المدينة؟
- 4 - ما الأهداف من مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه؟

الدرس الثلاثون بداية المواجهة بين المسلمين والمشركين

المنطلق:

- قوله تعالى ﴿إِذْ لِلَّذِينَ بَقِيََتْ لُؤْلُؤُا بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوكُكُمْ وَيَبِيعُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَسْجِدُكُمْ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلِكُنْصُرِكُ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) سورة الحج.

- قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (190) سورة البقرة.

شرح الكلمات والعبارات:

صَوِّعُ : معابد للرهبان ولا رهبانية في الإسلام.
وَبِيعُ : وكنايس للنصارى.
وَلَا تَعْتَدُوا : لا تظلموا.

التعليق:

كانت قريش ترسل تجارتها إلى الشام وتبعث فيها من يحرسها من ساداتها وكانت قوافلها تمر بالمدينة، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اعتراضها، ومصادرتها إضعاف لقريش، وتعويض للمسلمين عن أموالهم التي هاجروا عنها وصادرتها قريش، فبدأ يبعث السرايا لاعتراض قوافل قريش، ويغزوها بنفسه. ومن السرايا التي اعتراضت قوافل قريش ومهدت للمواجهة الحاسمة بين المسلمين وقريش في بدر:

1 - سرية حمزة رضي الله عنه:

في شهر رمضان من السنة الأولى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين رجلاً ليعترضوا عيراً لقريش فيها أبو لهب مع ثلاثمائة رجل من قومه، فالتقى الطرفان عند مكان يسمى العيص على ساحل البحر، واصطفا للقتال، ولكن مجدي بن عمرو الجهني الذي كان حليفاً لكل منهما حال بينهما. وكانت هذه أولى سرية في الإسلام ولواؤها أول لواء عقد في الإسلام، وكان حامله أبا مرثد الغنوي.

2 - سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب:

وفي شوال من السنة نفسها أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبيدة في ستين راكبا من المسلمين لاعتراض عير لقريش فيها عكرمة بن أبي جهل، ومعه مائتا رجل من قريش، فالتقى الجمعان ببطن رابغ، ولم يقع بينهما قتال، وانضم المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان من الحامية التي كانت تحرس العير إلى المسلمين، وكانا قد أسلما من قبل.

3 - سرية سعد بن أبي وقاص:

في ذي القعدة من السنة نفسها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص في رهط من المهاجرين لاعتراض عير لقريش، وعهد إليه ألا يتجاوز هو ومن معه الخرار من أرض الحجاز ولما وصلوه وجدوا العير مرت فعادوا إلى المدينة دون أية مواجهة.

4 - غزوة ودان - أو الأبواء:

في صفر سنة اثنتين للهجرة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه في سبعين رجلا من المسلمين يحمل لواءهم حمزة بن عبد المطلب ليعترض عيرا لقريش، حتى بلغ ودان التي بينها وبين الأبواء ستة أميال، ولم يلق عدوا، وقد خلف في هذه الغزوة على المدينة سعد بن عباد، كما عقد صلى الله عليه وسلم معاهدة حلف مع بني ضمرة تضمنت تأمين ونصرة كل منهما للآخر، وكانت هذه أولى غزوة غزاها صلى الله عليه وسلم.

5 - غزوة بواط:

في شهر ربيع الأول من السنة نفسها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه في مائتين من المسلمين ليعترض عيرا لقريش فيها أمية بن خلف الجمحي مع مائة رجل من قومه وألفان وخمسائة بعير فبلغ بواط (جبالا قرب ينبع) ولم يلق كيدا، واستخلف على المدينة في هذه الغزوة السائب بن عثمان بن مظعون، وكان حامل اللواء فيها سعد بن أبي وقاص.

6 - غزوة سفوان: (بدر الأولى)

في شهر ربيع الأول من السنة نفسها أغار كرز بن جابر الفهري في مجموعة من المشركين على مراعي المدينة، ونهب بعض المواشي فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من أصحابه لمطاردته حتى بلغ وادي سفوان من ناحية بدر، فلم يدرك كرز وأصحابه، ورجع من دون حرب، واستخلف على المدينة في هذه الغزوة زيد بن حارثة، وكان اللواء فيها أبيض عند علي بن أبي طالب.

7 - غزوة العشيرة:

في آخر جمادى الأولى من السنة نفسها بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبا سفيان ومعه بضعة وعشرون رجلا خرجوا في أضخم عير لقريش متجهين إلى

الشام فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسين ومائة - أو يزيد - من المهاجرين فلما بلغ ذا العشيرة (على بعد ستة فراسخ من المدينة) وجد العير قد فاتته بأيام، فصالح صلى الله عليه وسلم بني مدلج، ورجع ينتظر عودة العير التي كانت سبب غزوة بدر فيما بعد.

واستخلف على المدينة في هذه الغزوة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وكان لواؤه فيها أبيض عند حمزة بن عبد المطلب.

8 - سرية عبد الله بن جحش:

وفي رجب من السنة نفسها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش في رهط من المهاجرين، وكتب له كتابا وأمره ألا يقرأه إلا بعد يومين من سيره، ولما فضه وجد فيه (إذا نظرت كتابي هذا فامض حتى تصل نخلة فترصد لنا قريشا، وأخبارها) فقال عبد الله: سمعا وطاعة، وأطلع أصحابه على مضمون الكتاب الذي أمر فيه أن لا يستكره أحدا، فمضوا حتى بلغوا معدان فضلَّ بعير كان سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان يعتقبانه فتخلفا في طلبه ولما وصل عبد الله ومن معه نخلة مرت بهم عير لقريش متجهة إلى مكة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان، فحمل المسلمون عليهم فقتلوا عمرا، وأسروا عثمان والحكم، وأفلت منهم نوفل، فاستاقوا العير إلى المدينة، وهي أول غنيمة غنمها المسلمون فعاتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتالهم في الشهر الحرام (رجب) وهجرهم الصحابة حتى نزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (سورة البقرة، فطابت نفوس الجميع).

استخلاص:

- 1 - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقر بالمدينة ووضع المقومات الأساسية للدولة الإسلامية، بدأ يبعث السرايا، ويعترض قوافل قريش من أجل إضعافها ماديا ومعنويا وتعويض المسلمين عما صادرت قريش من أموالهم في مكة.
- 2 - أن كل أنشطة المسلمين العسكرية في هذه السرايا والغزوات كانت ردا على اعتداء المشركين على المسلمين، ومصادرتهم لأموالهم التي تركوها بمكة، وصددهم لهم عن سبيل الله.
- 3 - أن المسلمين إنما حاربوا المشركين ليخرجوهم من الظلمات إلى النور، وليصرفوهم عما هم فيه من الجهل، ومن عبادة الأصنام إلى عبادة الله الواحد الأحد.
- 4 - أن الله فرض الجهاد على المسلمين بكل ما أوتوا من قوة لتكون كلمة الله هي العليا فيسود العدل والاستقرار والأمن.

المناقشة:

1 - ما الهدف من بعث السرايا لاعتراض قوافل قريش وتجارتها؟

- 2 - في أي تاريخ وقعت السرايا التالية: سرية حمزة - سرية عبيدة بن الحارث - سرية عبد الله بن جحش؟
- 3 - كم كان عدد المسلمين في سرية حمزة وسرية عبيدة بن الحارث؟ ومن هو حامل اللواء في كل منهما؟
- 4 - من المستخلف على المدينة في كل من غزوة: ودان - بواط - بدر الأولى؟ ومن هو حامل اللواء في كل منهما؟

المعهد التريوي الوطني

الدرس الحادي والثلاثون غزوة بدر الكبرى

المنطلق:

قال تعالى ﴿وَإِذْ يَبْعُدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ يَكْمِيتَهُ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۚ لِيُخَيِّقَ الْحَقَّ وَيَبْطِلَ الْبَاطِلُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ۝٩﴾ سورة الأنفال.

شرح الكلمات والعبارات:

غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ : غير ذات البأس والسلاح وهي العير.
وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ : يستأصل آخرهم بالقتل كما استأصل أولهم بالعذاب.
تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ : تطلبون منه الغوث والنصر.
مُمِدُّكُمْ : معينكم.
مُرَدِّفِينَ : متتابعين.

التعليق:

كانت هذه الغزوة أولى معركة فاصلة بين المسلمين والمشركين، وقد تضمنت دروسا مفيدة وعبرا مهمة وتضحية نادرة وجهادا وبلاء حسنا في سبيل الله.

1- تاريخها:

خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة في الثامن من رمضان سنة 2 هـ وخلف ابن أم مكتوم على الصلاة في المدينة، فلما كان بالروحاء رد أبا لبابة بن المنذر واستعمله على المدينة، أما المعركة ف وقعت يوم الجمعة 17 من رمضان سنة 2 هـ.

2- الأسباب:

كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم ابتداء بمن معه من المسلمين في هذه الغزوة يهدف إلى الاستيلاء على عير لقريش قادمة من الشام تحمل أموالا طائلة بقيادة أبي سفيان بن حرب، ولكن الله أراد أن يتيح لعباده المؤمنين فرصة القيام بوظيفتهم التي خلقوا من أجلها، وهي عبادة الله والدعوة إلى دينه والجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا.

وكان أبو سفيان حذرا محتاطا عارفا بطرق المنطقة، لذلك لما علم بخروج الرسول

صلى الله عليه وسلم وصحبه لاعتراض العير نكب الطريق المعتاد فنجا بغيره، وتحسبا لكل الاحتمالات أرسل نذيرا إلى مكة يستنفر قريشا لحماية عيرها من خطر استيلاء المسلمين عليها فتجهزت قريش للحرب وخرجت لملاقاة المسلمين.

3 - قوام الجيشين:

- جيش المسلمين:

كان عدد الجيش المدني 313 على الأرجح، أغلبهم من الأنصار (231)، ولم يأخذوا أهبتهم كاملة، إذ لم يخرجوا للحرب، وإنما خرجوا للاستيلاء على العير، فلم يكن معهم من الخيل سوى فرسين، ولا من الإبل غير سبعين بعيرا، كان الاثنان أو الثلاثة منهم يعتقبون البعير الواحد، أما تسليحهم فكان متواضعا: سيوف ورماح وسهام ودروع معدودة.

- جيش المشركين:

كان جيش المشركين نحو ألف رجل معهم مائة فرس وجمال كثيرة وعندهم ستمائة درع، وسيوف ورماح وسهام كثيرة، كانوا ينحرون يوما تسعة ويوما عشرة من الإبل، جاءوا بهذه القوة يريدون إطفاء نور الله، واستئصال شأفة الإسلام قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِمَ وَاللَّهُ مُمِيتُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (8) سورة الصف.

4 - الاستعداد للمواجهة:

- ترتيبات المسلمين: بعد إفلات العير ووصول خبر النفير تأكد المسلمون أن معركة بينهم وبين المشركين ستحدث لا محالة فأعدوا للموقف عدته، واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الإجراءات التالية:

- استعرض الجيش ورد من ليست له قدرة على القتال.
- أخذ في رصد تحركات قريش، وجمع المعلومات المتعلقة بها، وأخبر الصحابة بأن مكة رمتهم بأفلاذ كبدها.
- استشار أصحابه لمعرفة رأيهم في اتخاذ ما يلزم، وسر بما سمعه من المهاجرين من أبي بكر، والمقداد بن عمرو، ومن الأنصار من خلال ما قاله سعد بن عباد.
- أخذ باقتراحات بعض الصحابة ممن لهم تجربة وخبرة في مجال الحرب وزيادة في التعبئة وللرفع من معنويات المسلمين أخبرهم أن الله وعده إحدى الطائفتين: إما العير وإما النفير، وقال كما في البخاري: (أبشروا والله كأنني أنظر إلى مصارع القوم).
- احتل المواقع الاستراتيجية: العدو الدنيا، وسيطر على الماء واتخذ كافة التدابير التي تجعله يتحكم في الموقف.

- اتخذ مقرا للقيادة استعدادا للطوارئ وتحسبا لكل الاحتمالات.

- التجأ النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون إلى الله بالدعاء يستنصرونه ويستعينونه ويتضرعون إليه، ومن بين ما قاله صلى الله عليه وسلم: (اللهم هذه قريش أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم نصرك الذي وعدتني اللهم أحنهم

(أهلكهم) (الغداة). الرحيق المختوم.

- نظم النبي صلى الله عليه وسلم صفوف جيشه فأعطى لواء القيادة المشتركة مصعب بن عمير، وقسم الجيش كتيبتين:

- كتيبة المهاجرين، وأعطى لواءها عليا بن أبي طالب.

- كتيبة الأنصار، وأعطى لواءها سعدا بن معاذ.

- جعل على الميمنة الزبير بن العوام وعلى الميسرة المقداد بن عمرو وعلى الساقة قيسا بن أبي صعصعة، وظلت القيادة العامة في يده صلى الله عليه وسلم كقائد أعلى للجيش.

- عدل الصفوف وحدد المواقع وأصدر الأوامر والتوجيهات إلى الجيش الذي كان شعاره يومئذ (أحد أحد).

استعداد المشركين:

حين وصل النذير (ضمضم الغفاري) إلى مكة مستصرخا قريشا: اللطيمة اللطيمة (الغير) أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أدري أتدركونها، الغوث الغوث،... فتحفزت قريش سراعا متحمسين، فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلا، ولم يتخلف بطن من بطونهم سوى بني عدي، ولا أحد من أشرفهم إلا أفراد قلة، خرجوا (بطرا ورثاء الناس) في حمية وغضب وحنق.

تحركوا بسرعة فائقة نحو الشمال في اتجاه بدر، ولم يثنهم ورود رسالة أخرى من أبي سفيان يخبرهم فيها بنجاة الغير، ويطلب منهم فيها الرجوع، ولا قرار الأخنس بن شريق بالرجوع بقومه: بني زهرة، ولا معارضة حكيم بن حزام وعتبة بن ربيعة للحرب، ولا نصيحة عمير بن وهب بالرجوع.

حدد أبو جهل في كبرياء وغطرسة أهدافا لا بد من تحقيقها عن طريق الحرب وهي: ورود بدر (وكانت من مواسم العرب) والإقامة بها ثلاثا، ونحر الجزر، وتناول الطعام وشرب الخمر والاستماع إلى القينات، وشيوع ذلك في العرب فلا تزال تهاب قريشا أبدا وهكذا تغلب الطيش على الحكمة.

نزلت قريش بالعدوة القصوى، وجعلت قيادتها العامة إلى أبي جهل (عمرو بن هشام) ورتبت أمورها واستعدت للمواجهة.

5 - سير المعركة:

حين التقى الجمعان اندفع الأسود بن عبد الأسد المخزومي نحو حوض المسلمين ليشرب منه فقتله حمزة بن عبد المطلب دونه.

وطلبت قريش المبارزة فانتهت نهاية سيئة بالنسبة لها حيث فقدت ثلاثة من خيرة رجالها هم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة على يد عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب على التوالي، ثم حمي الوطيس فأخذت الحرب شكل الهجوم والهجوم المضاد.

6 - ظهور معجزات في هذه الغزوة وبلاء المسلمين فيها:

أ - المعجزات، فمنها:

- نزول المطر ليلة المعركة على المسلمين تطهيراً لهم وتثبيتاً لأقدامهم في ساحة المعركة، مع ما غشاهم من النوم فأصبحوا في راحة واطمئنان نفسي رفع من معنوياتهم.

- نزول الملائكة ومشاركتهم في الحرب لصالح المسلمين.

- تحول جزل من حطب أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعكاشة بن محصن سيفاً بتاراً لم يزل عنده حتى استشهد في حروب الردة.

- رميه صلى الله عليه وسلم المشركين بقبضة من تراب لم يسلم منها أحد منهم.

ب - أبلى المسلمون في هذه المعركة بلاء حسناً وأظهروا فيها نماذج فذة من روائع الإيمان، من ذلك:

- قتال معاذ بن عمرو بن الجموح، وهو يجر جناحه وقد ضرب عليه قبل أن يجعل عليه قدمه فيخلص منه.

- قتل عمر رضي الله عنه يومئذ خاله العاص بن هشام بن المغيرة.

- وصية مصعب بن عمير أسير أخيه المشرك أبي عزيز بن عمير أن يشدد عليه لعل أمه المليئة بتفديده منه بمال كثير.

- قتل أبي عبيدة بن الجراح لأبيه المشرك عبد الله بن الجراح، فنزل القرآن بالثناء على أبي عبيدة.

7 - نتائج المعركة:

انتهت المعركة بهزيمة نكراء للمشركين وفتح مبين للمسلمين، وقد استشهد من المسلمين في هذه المعركة أربعة عشر رجلاً.

أما المشركون فلحقت بهم خسائر فادحة تمثلت في قتل سبعين منهم، من بينهم أبو جهل وأمية بن خلف، وأسر سبعين من القادة والزعماء الصناديد وكان تعامل المسلمين مع هؤلاء الأسرى دالاً على حكمتهم وبعد نظرهم ورغبتهم في العلم وحرصهم على التعلم وبعدهم عن الانتقام وتصفية الحسابات، حيث قبلوا الفداء من الأغنياء بالمال، ومن الفقراء بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة.

استخلاص:

1 - أن المسلمين ليسوا أصحاب أطماع ولا أهل ظلم واعتداء، هدفهم الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله والتضحية من أجل إحقاق الحق ونشر العدل والإنصاف بين الناس.

2 - أن غزوة بدر كانت أول معركة فاصلة في تاريخ الإسلام انتصر فيها الحق على الباطل وغنم فيها المسلمون من أعدائهم ما يساعدهم على مواصلة الجهاد في سبيل الله، ويرفع معنوياتهم، ويزيد هيبتهم فرغم قلة عددهم وعدتهم مقارنة مع المشركين

كانت الدائرة على المشركين، فقتل منهم 70 وأسر 70.

3 - أن المسلمين استغلوا النصر في المعركة لنشر الإسلام ومحاربة الجهل والامية من خلال تعليم الأسرى المعدمين (الذين لا يجدون من المال ما يفكون به رقابهم) عددا من أبناء المسلمين.

4 - أن التخطيط المحكم ومشورة أهل الرأي عوامل ساعدت في نصر المسلمين وكسبهم للمعركة.

5 - أن رابطة الإيمان أقوى من كل رابطة، نسبا كانت أو ولاء، وأن المسلمين يوم بدر جسدوا الولاء لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم على حساب القرابة النسبية.

المناقشة:

- 1 - ما السبب الرئيس لغزوة بدر؟
- 2 - كم كان قوام كل من الجيشين؟ ولمن كان يتوقع النصر؟
- 3 - وضع المسلمون استراتيجية لكسبهم المعركة أبرز أهم ترتيباتها.
- 4 - ما هي أهم المكاسب التي حققها المسلمون في هذه المعركة في نظرك؟

غزوة أحد

الدرس الثاني والثلاثون

المنطلق:

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ هَلْ إِذَا فُشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْبَبَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (152) سورة آل عمران.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (139) سورة آل عمران. وقوله تعالى ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ (141) سورة آل عمران.

شرح الكلمات والعبارات:

تَحُسُّونَهُمْ : تقتلونهم.
لِيَبْتَلِيَكُمْ : ليختبركم.
وَلَا تَهِنُوا : لا تضعفوا.
وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا : ليصفي ويظهر المؤمنين.
وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ : يهلكهم ويستأصلهم.

التعليق:

1 - تاريخ غزوة أحد وسببها:

وقعت غزوة أحد في سنة ثلاث للهجرة.

أما سببها: فهو أن بعض زعماء قريش ممن لم يحضر بدرا أو لم يقاتل فيها اجتمع رأيهم على الثأر لقتلهم في بدر، وخصوصا بعد فشل أبي سفيان في غزوة السويق.

2 - الاستعداد للمعركة وقوام الجيشين:

أ - المشركون (قريش وحلفاؤها):

- خصصت قريش ما كانت تحمله غير أبي سفيان من أموال وتجارة وجمعت أموالا طائلة زيادة عليه لتمويل جيش قوي قادر على إلحاق الهزيمة بالمسلمين.

- كونوا جيشا قوامه 3000 مقاتل من قريش وحلفائها، أما العدة فبلغت 3000 بغير و200 فرس و700 درع.

- استخدموا للتعبئة وسائل مختلفة: من اصطحاب النسوة معهم، وتوظيف الشعراء لصالحهم، وجمع المعلومات ووضع الخطط لكسب المعركة.
- جعلوا على القيادة العامة أبا سفيان وعلى اليمينه خالد بن الوليد، وعلى اليسرة عكرمة بن أبي جهل، وعلى المشاة صفوان بن أمية، أما اللواء فكان عند مفرزة من بني عبد الدار حملة لواء قريش تقليدياً.

ب - المسلمون:

بلغ خبر استعداد قريش النبي - صلى الله عليه وسلم - عن طريق رسالة بعث بها إليه عمه العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - الموجود آنذاك بمكة، فاتخذ صلى الله عليه وسلم الإجراءات التالية:

- التزم الحيلة والحذر، ودرس كل الاحتمالات وجمع المعلومات عن قريش وحلفائها.
- استشار كعادته الصحابة في اختيار الموقف السليم لمواجهة العدو، ونزل على رأي جماعة منهم يقترحون عليه الخروج لملاقاة المشركين خارج المدينة، بينما كان رأيهم صلى الله عليه وسلم يقتضي البقاء في المدينة والتحصن داخلها وخوض حرب شوارع إن تطلب الأمر ذلك.

- كوّن جيشاً يتألف من ألف مقاتل قبل أن يتمرد عبد الله بن أبي، ويرجع بثلاثمائة كانوا معه من المنافقين، فبقي سبعمائة لم يثبت أن بينهم فارساً أو دارعاً، وإنما كان سلاحهم الإيمان.

- قسم الجيش ثلاثة ألوية: لواء المهاجرين عند مصعب بن عمير، ولواء الأوس عند أسيد بن حضير، ولواء الخزرج عند الحباب بن المنذر.

- استعرض الجيش ورد مجموعة من الشباب لصغر سنهم وأذن لبعضهم.

- تحرك الجيش في اتجاه أحد واحتل منها أنسب المواقع.

- اختار صلى الله عليه وسلم مجموعة من الرماة قوامها خمسون مقاتلاً، وجعل عليهم عبد الله بن جبير، وأصدر إليهم أوامر صارمة بأن يرابطوا فوق الجبل - المعروف فيما بعد بجبل الرماة - وألا يبرحوا مكانهم مهما كانت نتائج المعركة.

3 - سير المعركة:

أ - التقى الجمعان، وكان أول قتيل في المعركة هو حامل لواء قريش طلحة بن أبي طلحة قتله الزبير بن العوام، وركز المسلمون على حملة لواء المشركين فقتلوا عشرة منهم الواحد تلو الآخر قبل أن يسقط اللواء.

ب - التحم الفريقان وحمي الوطيس وأظهر المسلمون شجاعة وبطولة وتضحية لا نظير لها، وسيطروا على الموقف رغم سقوط عدد منهم شهداء، أما قريش فتسللت الهزيمة إلى نفوسهم، وأخذوا يرتبون للفرار.

ج - بينما كان الجيش الإسلامي الأقل عدداً وعدة يسجل انتصاراً ساحقاً على جيش مكة

المتفوق عددا وعدة ارتكب أغلب الرماة خطأ فادحا أدى إلى إلحاق خسائر جسيمة بالمسلمين، ذلك أن الرماة خالفوا أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - فتركوا موقعهم حين رأوا سيطرة المسلمين على الموقف ظنا منهم أن الأمر قد حسم نهائيا لصالح المسلمين فانتهز خالد بن الوليد الفرصة وطوق المسلمين بعد قتل قائد الرماة، ومن ثبت معه منهم فارتبك بعض المسلمين، وخاصة حين انتشرت شائعة قتل النبي صلى الله عليه وسلم التي أطلقها ابن قمنة.

لكن الصحابة ما لبثوا أن التفوا حول النبي صلى الله عليه وسلم، وأبدوا - رجالا ونساء - شجاعة وتضحية واستماتة لم يعرف التاريخ لها مثيلا وصفها الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ٢٣﴾ سورة الأحزاب.

4 - نتائج المعركة:

أصيب النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة بجروح، وتعرض لمواقف حرجة، واستشهد من المسلمين سبعون شهيدا أغلبهم من الأنصار، ومن هؤلاء الشهداء حمزة ومصعب وسعد بن الربيع وعبد الله بن جحش ومالك بن سنان وعبد الله بن جبير...، ومثل المشركون بحمزة رضي الله عنه سيد الشهداء وأسد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ورغم هذه الخسائر ورغم ميل ميزان القوة في مرحلة من المراحل لصالح المشركين، فإن النتيجة لم تكن بالمفهوم الحربي هزيمة للمسلمين فلم يستطع المشركون توظيف الخسائر التي ألحقوها بهم فلم يغنموا مالا ولا أسيرا.

أما المشركون فبلغ عدد قتلاهم في النهاية نحو سبعة وثلاثين، منهم أبي بن خلف الذي قتله النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل اثنان وعشرون نصفهم من بني عبد الدار.

استخلاص:

1 - أن غزوة أحد وقعت سنة 3 هـ وأنه على الرغم من تفوق المشركين عددا وعدة فقد حقق المسلمون نصرا ساحقا في بداية المواجهة، ولكن الرماة الذين كانوا يحمون ظهورهم تركوا مواقعهم فكرر المشركون على المسلمين من الخلف، فلم يثبت لهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدد قليل من الصحابة قاتلوا حتى انتهت المعركة لصالحهم.

2 - أن الاستشارة سبيل إلى اتخاذ القرار السليم، وأن الأكثر كفاءة قد يستشير من هو دونه، وأن القرار المتخذ بعد التشاور والدراسة لا ينبغي التراجع عنه بسهولة.

3 - أن من أراد النجاح في الدنيا والآخرة فليسر على طريق النبي صلى الله عليه وسلم ويمثل ما أمر به ويجتنب ما نهى عنه، وأن مخالفة أوامر الله ورسوله وخيمة العاقبة.

4 - أن النصر في النهاية إنما يكون مع الإخلاص والصبر، والتزام الضوابط الشرعية اجتنابا وامتنالا، وأن المؤمن له إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة.

5 - أن المحن والشدائد والابتلاءات تزيد المؤمنين إيماناً وصلابة وثباتاً، وتميزهم عن غيرهم، فقد كان الصحابة يكثرّون عند الفزع ويقلّون عند الطمع.

المناقشة:

- 1 - متى وقعت غزوة أحد؟ وما أسبابها؟
- 2 - كيف كانت استعدادات كل من الفريقين؟
- 3 - قارن بين جيشي المسلمين والمشركين عدداً وعدة.
- 4 - لمن كانت السيطرة على المعركة ابتداءً؟ وكيف تحول الموقف؟ ولماذا؟

المعهد التزويدي الوطني

الدرس الثالث والثلاثون غزوة الأحزاب (الخنق)

المنطلق:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۝١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا ۝١١﴾ سورة الأحزاب.

شرح الكلمات والعبارات:

زَاغَتِ الْأَبْصَارُ : مالت، كناية عن الخوف والذعر.
وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ: كناية عن الخوف والفرع.

التعليق:

1 - التاريخ والأسباب:

وقعت هذه الغزوة في شوال سنة خمس للهجرة على أصح الأقوال. أما سببها المباشر فهو النتائج التي أسفرت عنها غزوة أحد والتي فرح بها من بقي من اليهود في المدينة (بني قريظة)، وأرادوا أن يستغلوها لتأليب قريش وقبائل العرب ضد الإسلام والمسلمين، فتنقل زعماءهم بين قريش وقبائل العرب يحرضونهم على غزو المدينة واجتياحها والقضاء على الإسلام في عقر داره زاعمين لهم - بوصفهم أهل كتاب - أن دينهم خير من دين محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبَتِ وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۝٥١﴾ سورة النساء ، فاستجاب لهم كثير من هذه القبائل بدوافع مختلفة.

2 - الاستعداد للحرب وقوام الجيشين:

أ - جيش المشركين:

- بلغ عدد جيش الأحزاب عشرة آلاف مقاتل مؤلفة من قبائل شتى: قريش-كنانة - غطفان - بني سليم بني فزارة - أشجع - بني أسد، وغيرهم وكان هذا الجيش مسلحا بأحدث الأسلحة آنذاك.

ضرب الأحزاب موعدا للتجمع حول المدينة، وتحركوا من أماكن انطلاقهم صوبها،

وأخذوا مواقعهم حولها، لكنهم فوجئوا بخطة المسلمين الدفاعية المحكمة.
- ضربوا حصارا على المدينة نحو شهر، وهو حصار لم يأخذوا له أهبتة، ولم يكونوا
أسياذ الموقف فيه.
- نقض بنو قريظة العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين وفتحوا عليهم جبهة لم يكونوا
يتوقعونها.

- انسحب المنافقون من جيش المسلمين متذرعين بحماية بيوتهم من العدو: ﴿وَإِذْ قَالَتْ
طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّا
يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ سورة الأحزاب. 13
ب - جيش المسلمين:

- شرع المسلمون بجد ونشاط، وتعاون منقطع النظير في حفر الخندق، وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يتقدمهم في العمل في الحفر بيديه الشريفتين، كانوا يحفرونه
طول النهار ويرجعون إلى أهلهم في المساء إلى أن اكتمل حفره قبل وصول جيش
الأحزاب.

عملوا بصبر وإخلاص ومثابرة رغم ما كانوا يعانونه من ظروف مناخية صعبة وقلة
في الزاد حتى أنهم كانوا يشدون الحجارة على بطونهم من الجوع.
بلغ جيش المسلمين 3000 مقاتل تسليحهم المادي متواضع غير أنهم مسلحون بسلاح
الإيمان، أفضل سلاح، وصل خبر الأحزاب وما ينوونه إلى النبي صلى الله عليه وسلم
في وقت مبكر، فاستشار أصحابه شأنه معهم دائما، وبعد دراسة الموقف وافق الجميع
على اقتراح تقدم به الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه يقضي بحفر
خندق حول المدينة، تلك الخطة التي قلبت كل الموازين وقال الأحزاب في شأنها: (هذا
أمر ما كانت العرب تعرفه).

- كانت معنويات المسلمين مرتفعة لدرجة أنهم لم يطلبوا الصلح مع المشركين رغم
الفرق الشاسع في العدد والعدة.

- شاركت النساء في حماية وتأمين من بقي بالمدينة وصد المرتزقة عنها، كما فعلت
صفية بنت عبد المطلب حين قتلت أحد عيون اليهود (جاسوسا).

- ظهرت خلال حفر الخندق معجزات عدة كشعب أهل الخندق - وعددهم ألف - من شاة
واحدة، وكشبعهم جميعا من حفنة تمر، وكشأن الصخرة التي اعترضت أثناء حفر
الخندق، وما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في شأنها.

3 - المواجهة:

لم يقع خلال مواجهات الأحزاب قتال مباشر، ولا حرب دامية، وإنما حصلت مبارزة
بين فارس قریش وبطلها عمرو بن عبد ود وعلي بن أبي طالب قتل فيها عمرو، ثم
وقعت تراشقات وصدامات فردية قتل فيها ستة من المسلمين، وعشرة من المشركين،
وكان من ضمن جرحى المسلمين سعد بن معاذ رضي الله عنه.

4 - إسلام نعيم بن مسعود ودوره في زرع الخلاف بين اليهود والأحزاب:

كان نعيم بن مسعود الأشجعي صديقا يثق به بنو النضير وقریش، فأسلم سرا، فاستشار

النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعل، فأمره أن يخذل الأحزاب ووظف نعيم كفاءته وثقة الجميع فيه لخدمة المسلمين ونصرة النبي صلى الله عليه وسلم، فوضع خطة محكمة نجح من خلالها في تخذيل الأحزاب، وتنشيطهم وتفريق جمعهم، وبث الشقاق بينهم فها هو الله بذلك فساد أمر الأحزاب .

5 - انفراج الموقف:

أحس المسلمون بأن شيئاً ما وقع في جيش الأحزاب، فانتدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان في تلك الليلة المظلمة الباردة للقيام بمهمة صعبة تتمثل في التسلل إلى جيش المشركين وموافاته بخبرهم فامتثل ودخل معسكرهم فوجدهم على أسوأ حال واستمع إلى ما يجري بينهم من حديث يدل على إحباطهم وارتباكهم، ورأهم يشرعون في الرحيل فعاد بذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩﴾ سورة الأحزاب.

فجعلت تلك الريح تقوض خيامهم، ولا تدع لهم قدراً إلا كفاتها، وألقى الله في قلوبهم الرعب والخوف وكفى المسلمين شرهم، قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمَنَآلُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥﴾ سورة الأحزاب. وهكذا قام نعيم بن مسعود بمهمته المتمثلة في تخذيل الأحزاب لصالح المسلمين على أحسن وجه.

استخلاص:

- 1 - أن أعداء الإسلام من مشركين ويهود ومنافيقين تمالؤوا لغزو المدينة واجتياحها وجمعوا لذلك 10000 مقاتل وحاصروا المدينة، ولكن الله خذلهم وقذف في قلوبهم الرعب وكفى المؤمنين شرهم.
- 2 - أن الإسلام يبيح للمسلمين الاستفادة من تجربة غيرهم من الأمم إذا كان ذلك لجلب مصلحة أو درء مفسدة لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.
- 3 - أن المسلمين بالتشاور فيما بينهم والصبر والثبات والتعاون والتكافل قادرون على تحقيق النصر مهما كان حجم التحدي الذي يواجهونه.
- 4 - أن المسلم عن طريق إيمانه وإخلاصه لله واستعماله لمواهبه يستطيع إنجاز أصعب المهمات.

المناقشة:

- 1 - ما أسباب غزوة الأحزاب؟ وما قوام كل من جيشي المسلمين والمشركين عدداً وعدة؟
- 2 - ما الخطة التي قلبت موازين القوة في هذه الغزوة؟ ومن هو صاحبها؟
- 3 - تعرض المسلمون لضغوط من داخل المدينة لم يكونوا ينتظرونها، أبرزها وبين كيف تعاملوا معها؟
- 4 - ما دور خطة نعيم بن مسعود في فشل جيش الأحزاب؟

الدرس الرابع والثلاثون المواجهة بين اليهود والمسلمين في المدينة

المنطلق:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ مُدَّةٌ مِنْ اللَّهِ فَأَنبَتَهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿2﴾﴾ سورة الحشر.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أَخْرَجَ بَدَلٌ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿11﴾ لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلِكَنَّ الْأَذْبَنُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿12﴾﴾ سورة الحشر.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿51﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبَهُمْ أَوْ يَكُونُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴿52﴾﴾ سورة المائدة.

شرح الكلمات والعبارات:

لَأَوَّلِ الْحَشْرِ : هو حشر اليهود إلى الشام وبعده أجلاهم عمر في خلافته إلى خيبر.
حُصُونُهُمْ : جمع حصن وهو كل موضع يتوقع فيه أمان.
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ : ألقى الخوف والفرع في قلوبهم.
فَاعْتَبِرُوا : تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله.
يَتَأُولَى الْأَبْصَارِ : ذوي العقول والألباب.
مَرَضٌ : شك أو نفاق.
دَائِرَةٌ : حادث من حوادث الدهر.
بِالْفَتْحِ : بالنصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

التعليق:

1 - موقف اليهود من الإسلام:

كان اليهود يتطاولون على جيرانهم من العرب ويقولون لهم - إذا حدث نزاع بينهم - : إنهم سيتبعون النبي الذي قد اقترب زمانه، وبالتالي سينتصرون عليهم، ولكن لما كان المبعوث من العرب استعظم زعماء اليهود أن تكون النبوة في العرب فحسدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفروا بما أنزل عليه، حتى قال حبرهم مالك بن الصيف :

ما أنزل الله على بشر من شيء قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ سورة الأنعام ، مع أنهم لعنهم الله متيقنون أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله جاء مصدقا لما بين يديه من كتب الله التي أنزلها على من سبق من رسله عليهم السلام، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ سورة البقرة، ولكن الحسد والكبر منعاهم من الإيمان به صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلَكِ فَإِذَا لَا يُوْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ سورة النساء.

2 - طوائف اليهود بالمدينة:

أ - بنو قينقاع : وهم أول من أظهر الحقد والعداوة للمسلمين - سوى عبد الله بن سلام رضي الله عنه - فبعد وقعة بدر امتلأ اليهود حقدا وحسدا فنكثوا العهد وحرشوا بالمسلمين، وتفادى المسلمون الاصطدام بهم، حتى كان منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة أي بعد غزوة بدر بأقل من شهر نبش اليهود عن حتفهم بظلفهم، حيث قدمت امرأة مسلمة بحلي لها إلى صائغ يهودي في سوق بني قينقاع فحف بها نفر من اليهود ساخرين يلحون عليها بأن تكشف عن وجهها فأبى فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعلقه بظهرها، فلما وقفت انكشف عنها ثوبها فضحك اليهود منها فصاحت مستغيثة فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وقتل اليهود المسلم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساءهم وحذرهم مغبة البغي ونكث العهد، فقالوا له :

(لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب (يريدون قريشا في بدر) فأصببت فرصة، أما والله لئن حاربتنا لتعلمن أننا نحن الناس)، وتحصنوا في حصونهم ووقف المنافقون - وعلى رأسهم عبد الله بن أبي - بجانبهم، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة حتى اضطروا للاستسلام، وما أغنى عنهم إخوانهم من المنافقين شيئا فنفاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أذرعات بالشام، ولم يخل عليهم الحول حتى هلكوا.

ب - يهود بني النضير ومقتل حليفهم كعب بن الأشرف:

بعد ما يقرب من السنة من جلاء بين قينقاع أي في شوال سنة أربع، أطل يهود بني النضير بوجه آخر من الغدر لم يسبق له مثيل، حيث قدم إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في وفد من أصحابه في مهمة فأبدوا استعدادهم لتلبية طلبه، ولكنهم تمالؤوا على قتله فأوكلوا إلى أحدهم (عمرو بن جحاش) أن يصعد إلى أعلى البناء فيلقي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي كان مستندا إلى جدار منازلهم - صخرة

عظيمة تريحهم منه.

فألهم الله رسوله الخطر المدبر له، فنهض على عجل ورجع إلى المدينة وأرسل محمد ابن مسلمة رضي الله عنه إلى اليهود يأمرهم أن يغادروا المدينة في أجل لا يتجاوز عشرة أيام.

ولكن المنافقين مألؤهم وحرصوهم على الثبات، وقالوا: نحن معكم فتحصن بنوا النضير بحصونهم وحاصرهم عليه الصلاة والسلام ست ليال، ولم يروا عونا من المنافقين فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم بالجلاء عن ديارهم، ولهم ما حملت إبلهم من المال دون السلاح، فخرج بعضهم إلى خيبر وبعضهم إلى أذرعات بالشام.

- مقتل كعب بن الأشرف:

كان كعب ممن تجرأ من اليهود على المسلمين فسافر إلى مكة يعزي المشركين بعد بدر، ويحضهم على الثأر، وهناك سأله أبو سفيان: (أناشدك الله أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه)، فأجابه كعب لعنه الله: أنتم أهدى منه سبيلا، فأنزل الله فيه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍ مُّشْرِكٍ سَبَّلْنَاهُمْ فِي آيَاتِهِ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْكَبُوا هَذَا مَا يُحْذَرُونَ﴾ (سورة النساء: 51) سورة النساء، ولما رجع إلى المدينة جعل يتغزل بنساء المسلمين فأهذر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه وأرسل إليه محمد بن مسلمة في نفر فقتلوه، فلما قتل جبار اليهود العنيد دب الرعب في نفوسهم ولزموا حدودهم إلى حين.

ج - بنو قريظة:

رأينا في الدرس الماضي كيف نقض يهود بني قريظة عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوا الأحزاب على حربه تحت تأثير حيي بن أخطب رئيس بني النضير.

وعندما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد انصراف الأحزاب، وأراد أن يخلع لباس الحرب أمره الله باللاحق ببني قريظة، فنادى في أصحابه قائلا: (لا يصليين أحد العصر إلا في بني قريظة) رواه البخاري، ولما وصل إليهم الجيش فزعوا ودب الذعر في نفوسهم فتمنعوا في حصونهم، وحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة، فحاولوا - بعد أن أنهكهم الحصار - الحصول على صلح مع المسلمين فرفض رسول الله صلى الله عليه وسلم وطالبهم بالاستسلام دون قيد أو شرط، فلم يروا بدا من ذلك فطلب رجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعامل حلفاءهم (بني قريظة) كما عامل بني قينقاع (حلفاء إخوانهم من الخزرج) فقال عليه الصلاة والسلام: (ألا يرضاكم أن يحكم فيهم رجل منكم) فقالوا: نعم فاختار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سعدا بن معاذ - رضي الله عنه - وكان جريحا أصابه سهم جراء تراشق المسلمين وأعدائهم من المشركين عبر الخندق - فقال سعد: (لقد أن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم، وقال: إني أحكم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذريتهم)، فقال عليه الصلاة والسلام:

(ولقد حكمت فيهم بحكم الله) البخاري ومسلم.

استخلاص:

- 1 - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجلى قبائل اليهود: بني قينقاع، وبني النضير، وغزا بني قريظة إثر نقضهم للعهد وكيدهم له صلى الله عليه وسلم ومظاهرتهم للمشركين على المسلمين وحكم فيهم سعد بن معاذ.
- 2 - أن ذلك الإجماع كان رداً على نكث اليهود ونقضهم للعهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وردعاً لأعداء الإسلام من منافقين وغيرهم ليكفوا عن الكيد للإسلام والمسلمين، فيتفرغ المسلمون لنشر الإسلام.
- 3 - أن الإسلام يضمن للأقليات والمجموعات غير المسلمة حقوقها، فقد عاش اليهود مع المسلمين فترة في المدينة آمينين مطمئنين وما تعرضوا له من قتل وتشريد ما كان ليصيبهم، لولا ما بدر منهم من مكر وغدر وخيانة.

المناقشة:

- 1- من يتحمل المسؤولية فيما وقع لليهود من قتل وتشريد؟
- 2- ما سبب إجماع بني قينقاع وبني النضير من المدينة؟
- 3- ما موقف بني قريظة من المسلمين في غزوة الأحزاب؟ وما الحكم الذي حكم به سعد بن معاذ؟ وهل أصاب في حكمه؟
- 4- كيف قتل ابن الأشرف، وما سبب قتله؟

الدرس الخامس والثلاثون مواقف المنافقين

المنطلق:

- قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئِنَّهُمْ عِنْدَهُمُ الْغَزَّةَ فَإِنَّ الْغَزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (139) سورة النساء.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (142) مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا﴾ (143) سورة النساء.
- قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ بَشِيرٌ أَلِيمٌ﴾ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلَجْنَ أَذْبَرَتْ لَهُمُ الْأَذْبُرُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ (12) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (13) سورة الحشر.

شرح الكلمات والعبارات:

- يُرَاءُونَ النَّاسَ : يُصَلُّونَ رِيَاءً وَسَمْعَةً لَا اتِّبَاعًا لِأَمْرِ اللَّهِ.
- مُذَبِّدِينَ : مترددين بين الكفر والإيمان، متحيرين.
- لَيُؤْلَجْنَ الْأَذْبَرُ : لَيَهْرُبْنَ.
- رَهَبَةً : خوفاً.

التعليق:

1 - أصل النفاق وحقيقة المنافقين:

النفاق إظهار الإيمان وإسرار الكفر وموالاته أهله، ولم يُبتَلِ المسلمون في المدينة باليهود وحدهم بل كانت إلى جانبهم جماعات أخرى أظهرت الإسلام خوفاً على حياتها ومصالحها، وأخفت الكفر، وكانت تعمل مع اليهود والمشركين في خفاء ضد المسلمين، وكان يرأسها في المدينة عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي الذي أظهر النفاق والمجاهرة بعدائه للإسلام، ولما رأى أسرى بدر داخل المدينة مقرنين في الأصفاد خاف على نفسه وبأيع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ظاهراً وبقي على ما كان يخفيه من شرك.

ومن هنا كان المنافقون أشد خطراً على الإسلام من اليهود وغيرهم من الكفار لأنهم

يعيشون بين المسلمين ويمارسون في الظاهر شعائر الإسلام : من صلاة وصيام ... فيطلعون على أسرار المسلمين وينشرونها في بطاناتهم من الكفار، والإسلام لسماحته ومحافظته على المصالح العامة لا يحاسب الناس إلا على ما ظهر منهم، ويترك ما بطن إلى الله ، وقد كان القرآن ينزل من حين لآخر فيكشف أسرار المنافقين ومواقفهم الدنيئة قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرْهُ وَإِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ (64) سورة التوبة ، فكان صلى الله عليه وسلم يعرف حقيقتهم ويطلع حذيفة بن اليمان على أسمائهم، ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسند إليهم المهام ولم يول على المدينة أحدا منهم.

2 - مواقفهم الدنيئة:

أ - مع اليهود:

- مع بني قينقاع:

فقد وقف عبد الله بن أبي - كما سبق - إلى جانبهم، وطالب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإحسان إليهم عندما سلموا أنفسهم ونزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم. مع بني النضير:

فلما أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأهبوا للرحيل دعاهم المنافقون إلى الإقامة والمكث ووعدوهم بالنصر ولكنهم - في النهاية - غروهم وخدلوهم، فلم ينصروهم، ولم يغنوا عنهم من الله شيئا، قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولِيَنَّ الْأَذْبَرُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ (12) سورة الحشر.

ب - من الجهاد والغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لقد غدر المنافقون وخدلو رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصعب الظروف وأشد الأوقات:

- في غزوة أحد حيث انسحب ابن أبي بثلث جيش المسلمين وردهم إلى المدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- في غزوة الأحزاب: تسللوا من صفوف المسلمين واحدا تلو الآخر غدرا وخبثا منهم معللين انسحابهم بأن (بيوتهم عورة): أي مكشوفة للعدو، وقد فضحهم الله، وكشف أسرارهم الخبيثة: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (13) سورة الأحزاب.

استخلاص:

1 - أن النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن، فإن أظهر صاحبه الإيمان وأخفى الكفر فهو نفاق عمل، وهو المقصود في حديث: (أربع من كن فيه كان منافقا خالسا ...).

2 - أن المنافقين اتخذوا من الإسلام والمسلمين مواقف عدائية تميزت بالغدر والخيانة في أشد الظروف، وأن عبد الله بن أبي بن سلول كان رأسهم وقد أنزل الله فيه : ﴿وَلَا

تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ سورة التوبة.

3 - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم حال المنافقين، ويعرف أسماءهم، ويطلع عليها بعض أصحابه رضوان الله عليهم، ولم يعاملهم حسب اعتقادهم خوفاً من أن يقال: (إن محمداً يقتل أصحابه) فظل يعاملهم وكأنهم مسلمون، ولكنه يحذر مكائدهم، ومخططاتهم كل الحذر.

المناقشة:

- 1 - عرف النفاق، مبرزاً مظاهره.
- 2 - كيف تعامل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع المنافقين ومن هو زعيمهم في المدينة؟
- 3 - اذكر موقفين أظهر فيهما المنافقون الولاء لأعداء الله ورسوله.
- 4 - قال تعالى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٧﴾ سورة البقرة.
- وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ﴿٣﴾ سورة المنافقون.
- من المراد في الآيتين؟

الدرس السادس والثلاثون صلح الحديبية

المنطلق:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (18) سورة الفتح.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (27) سورة الفتح.

قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية) رواه مسلم.

وقوله صلى الله عليه وسلم مخاطبا أهل بيعة الرضوان: (أنتم خير أهل الأرض) رواه البخاري.

شرح الكلمات والعبارات:

السَّكِينَةُ : الرحمة.
وَأَثَبَهُمْ : جازاهم.
فَتْحًا : نصراً.

التعليق:

أولاً: صلح الحديبية:

1 - التاريخ والأسباب:

الحديبية موضع على بعد ميلين من مكة اشتهر بالصلح الذي أبرم فيه بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش في غرة ذي القعدة سنة 6 هـ.

وسبب هذا الصلح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام وهو بالمدينة أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام وأخذ مفتاح الكعبة وطافوا واعتمرُوا وحلق بعضهم رأسه وقصر بعض فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وتجهزوا للعمرة.

2 - استنفار المسلمين وتحركهم نحو مكة:

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد أن استخلف عليها نميلة بن عبد الله الليثي، وعلى الصلاة بالمسلمين عبد الله بن أم مكتوم، واصطحب معه زوجته أم سلمة رضي الله عنها.

وسار معه نحو 1500 من الصحابة وليس معهم سلاح متجهين صوب مكة وأشعر الهدي وبث عيونه وسلك طريقا غير الطريق المعهودة تجنباً للاصطدام بقريش إلى أن وصل إلى الحديبية فبركت ناقته القصواء من غير علة ولكن حبسها حابس الفيل.

3 - موقف قريش:

حين علمت قريش بخروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة قررت بعد التشاور صده هو ومن معه من المسلمين عن البيت مهما كلف ذلك، وكلفت مائتين من خيرة فرسانها بقيادة خالد بن الوليد بتنفيذ تلك المهمة، ولكنهم فشلوا في ذلك وفاتهم المسلمون حتى نزلوا الحديبية.

4 - بدء الاتصالات بين الطرفين:

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية وقال قبل أن ينزلها: (والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم خطة يعظمون بها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها) رواه أبو داود.

كانت قريش البادئة بالاتصال، فأرسلت رسلاً للمسلمين يستفسرونهم عن سبب مجيئهم، وكان رد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن المسلمين إنما جاءوا للعمرة فلم تقنع قريش بذلك، ثم بدأت الوساطات ومحاولات الصلح بين الطرفين، وكان من ضمن المتدخلين في الصلح عروة بن مسعود الثقفي حليف قريش، فعاد إليهم من عند المسلمين قائلاً: «يا معشر قريش جئت كسرى في ملكه وقيصر في عظمته، فما رأيتم ملكاً في قومه مثل محمد في أصحابه ولقد رأيتم قوما لا يسلمونه لشيء أبداً، فاقبلوا ما عرض عليكم إني لكم ناصح فلم يقبلوا بذلك.

ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ليوضح لقريش مقصده فرفضوا دخول المسلمين مكة.

ولم تكتف قريش برفض المبادرات فقط، وإنما احتجزت عثمان عندها وأرسلت عصابة تزيد على 70 من فرسانها لتنفيذ مهمة سرية في جيش المسلمين، فأسروهم المسلمون جميعاً، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعفو عنهم وإطلاق سراحهم كبادرة على حسن النية ورغبة في الصلح.

5 -بيعة الرضوان:

شاع في صفوف المسلمين أن عثمان بن عفان قتل، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى البيعة فبايعوه بحماس وصدق على الموت وعدم الفرار، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه نيابة عن عثمان.

ولما علمت قريش بالتعبئة والتصميم من المسلمين قذف الله في قلوبها الرعب، فأطلقت سراح عثمان وجماعة من المستضعفين كانت تحتجزهم فوصلوا إلى عسكر المسلمين مع عثمان.

6 - إبرام الصلح وبنوده:

أدركت قريش أنها في موقف حرج، فأوفدت سهيل بن عمرو لإبرام الصلح مع

المسلمين، فلما قدم سهيل إليهم تفاعل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (سهل الأمر) وفعلا سهل، فبعد مفاوضات بين الطرفين اتفقا على عقد صلح بينهما تضمن البنود التالية:

أ - رجوع المسلمين عن مكة عامهم هذا على أن يدخلوها العام القادم ويؤدوا نسكهم فيها دون اعتراض من قريش.

ب - وضع الحرب بين الطرفين مدة عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض .

ج - من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فدخلت خزاعة في حلف النبي صلى الله عليه وسلم، ودخلت بكر في حلف قريش.

د - من أتى المسلمين من قريش دون إذن وليه رده المسلمون إلى قريش، ومن أتى قريشا من المسلمين هاربا لا يردونه إلى المسلمين وتولى كتابة الصلح علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالصيغة التي ترضي سهيل بن عمرو ممثل قريش، بعد أن اعترض على بدء الوثيقة ب (بسم الله) وعلى وصف محمد صلى الله عليه وسلم ب (رسول الله).

ورأى بعض المسلمين أن في هذا الصلح ضيما عليهم، ولكنهم اكتشفوا لاحقا أنه كان نصرا وعزا لهم، فقد أدل الله المشركين من حيث أرادوا العزة، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة المنافقون.

وبعد كتابة الصلح وتوقيعه، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يحلقوا رؤوسهم وينحروا هديهم ليتحللوا من عمرتهم، فتوانوا في ذلك فاقترحت أم المؤمنين أم سلمة - التي كانت تصحب النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العمرة - عليه أن يكون البادئ ففعل، فتواثب المسلمون فنحروا هديهم وحلقوا رؤوسهم، ثم رجعوا إلى المدينة.

ثانيا: الرسائل إلى الملوك والأمراء

كان من نتائج الصلح الذي أبرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قريش ومن الهدنة التي أعقبته، أن تفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبليغ الدعوة ونشر الإسلام في الجزيرة العربية وما جاورها مفضلا أسلوب الحوار والإقناع على أسلوب المواجهة والاصطدام.

ففي أواخر السنة السادسة من الهجرة كتب إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام، وجعل نقش خاتمه:

(محمد - رسول - الله) طابعا يختم به الرسائل التي نذكر منها:

- 1 - أرسل عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة، فأسلم وحسن إسلامه.
- 2 - أرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك مصر، فرد ردا جميلا وأهدى هدية

ولكنه لم يسلم.

3 - أرسل عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس، فمزق الكتاب، فمزق الله ملكه .

4 - أرسل دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل قيصر الروم فرد ردا جميلا وأكرم حامل الكتاب .

5 - أرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي حاكم البحرين، فرد ردا جميلا وأكرم حامل الكتاب .

6 - أرسل سليط بن عمرو العامري إلى هوزة بن علي صاحب اليمامة فلم يسلم، واشترط الإشراك في الأمر على أن يسلم.

7 - أرسل شجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغطفاني صاحب دمشق، فلم يسلم.

8 - أرسل عمرو بن العاص إلى ملك عمان جيفر وأخيه عبد ابني الجندى فأسلما واتبعا .

استخلاص:

1 - أن صلح الحديبية كان نصرا وفتحاً عظيماً للمسلمين ظهروا فيه كقوة يحسب لها حسابها، وقد استغل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أحسن استغلال، فكاتب الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام وإلى عبادة الواحد القهار.

2 - أن الإسلام دين تسامح وسلام يوجب على المسلمين احترام المعاهدات والمواثيق التي يبرمونها مع الكفار ما دام فيها تعظيم لحرمانات الله وحقق للدماء وتحقيق للأمن والسلام.

3 - أن الحكمة وحصافة الرأي كما تكون في الرجال تكون في النساء، فقد كان لاقتراح أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون البادئ بالحلقة والنحر أثر كبير في تخليص المؤمنين من مأزق حقيقي هو التواني في طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

4 - أن التوجيه والدعوة بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة وإبلاغ الرأي بالحوار والمراسلات المكتوبة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهجه الذي اعتمده لنشر الإسلام في الجزيرة العربية وتبليغ الدعوة لملوك وأمراء الدول المجاورة لها.

المناقشة:

1 - ما سبب نزول المسلمين بالحديبية؟

2 - عرف بيعة الرضوان واذكر سببها.

3 - ما أهم بنود صلح الحديبية؟ وما نتائجه على المسلمين؟

4 - ما الهدف الذي قصده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتابة للملوك والأمراء؟

الدرس السابع والثلاثون الصوم

تعريفه - حكمه - حكمة مشروعيته - مثبتات الهلال

المنطلق:

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (183) سورة البقرة.

- وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان) متفق عليه.

- وعنه أيضاً قال: (الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروه ولا تقطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين) متفق عليه.

شرح الكلمات والعبارات:

كُتِبَ عَلَيْكُمُ : فرض عليكم.
غم عليكم : ستر الغمام الهلال أو أخفاه عنكم.

التعليق:

1 - تعريف الصوم وحكمه:

أ - تعريفه:

الصوم لغة: الإمساك عن الشيء، واصطلاحاً: الإمساك عن شهوتي البطن والفرج، وسائر المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس بنية التعبد.

وقد فرض في شعبان السنة الثانية للهجرة.

ب - حكمه: دلت النصوص الشرعية السالفة الذكر وغيرها على أن الصوم ركن من أركان الإسلام، وقد أجمعت الأمة على وجوبه، وأنه مما علم من الدين ضرورة، ومنكره كمنكر وجوب الصلاة أو الزكاة - يعد كافراً - فيجب صوم رمضان على كل بالغ حاضر صحيح أو بالغة كذلك، خالية من دم الحيض أو النفاس، قال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمُ وَلَعَلَّكُمْ

2 - الحكمة من الصوم:

من حكم مشروعية الصوم:

أ- التسليم لله والانقياد لأوامره وكمال العبودية له، وهذه الحكمة هي الهدف الأسمى والغاية القصوى من كل فريضة، وهي القاسم المشترك بين كل العبادات.

ب - التحلي بمكارم الأخلاق مثل الصبر والحلم والمروءة وعلو النفس.

ج - غرس الشفقة في قلوب الأغنياء، وبعث الرأفة والرحمة في نفوسهم، فإذا صام الغني أدرك ألم الجوع والعطش فتعطف نفسه على المساكين والضعفاء.

د - صحة الجسم وتخلصه من الفضلات الضارة.

هـ - تقوية الإرادة والتربية على الصبر، فالصائم يجوع ويعطش وأمامه شهى الغذاء، وبين يديه بارد الماء، ولا رقيب عليه في ذلك إلا ربه، ولا سلطان عليه إلا ضميره، يتكرر منه ذلك طيلة شهر رمضان، فأى مدرسة تقوم بتربية الإرادة وتعليم الصبر كمدرسة رمضان التي يفتحها الإسلام للمسلمين وجوبا في رمضان، وتطوعا في غيره.

3 - ثبوت الهلال:

يثبت الهلال بأحد أمرين، هما:

أ - كمال شعبان ثلاثين يوما.

ب - رؤية الهلال، وتنقسم إلى:

- رؤية عدلين أو أكثر للهلال، ويجب الصوم على كل من أخبر به، ولو لم يحكم بذلك القاضي.

- رؤية جماعة مستفيضة يستحيل عادة تواطؤها على الكذب.

- رؤية عدل واحد بالنسبة لمن لا يهتم برؤية الهلال.

وعلى كل من رأى الهلال أن يبلغ الجهات المعنية لتتحمل مسؤوليتها، ولا يثبت الهلال بقول المنجم العارف بسير القمر، لا في حق نفسه ولا في حق غيره على مشهور مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، لأن الشارع أناط الحكم بالرؤية لا بتقدير وجود القمر، فالإسلام دين الفطرة والتيسير، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٨٥﴾ سورة البقرة.

وينقل ثبوت الهلال بأحد الأمور التالية:

- نقل مستفيضة عن عدلين أو عن مستفيضة.

- نقل عدلين عن مستفيضة، أو عن عدلين.

- نقل عدل واحد خبر الرؤية المتواترة، أو خبر حكم الحاكم بثبوتها.

ولا يجوز لمن انفرد برؤية هلال شوال أن يظهر الفطر لئلا يتهم في دينه، وتجب عليه نية الفطر سرا في خاصة نفسه.

استخلاص:

- 1 - أن الصوم لغة: الإمساك، وشرعا: الإمساك عن كل المفطرات بنية التعبد من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، وقد وجب بالكتاب والسنة في عاشر شعبان من السنة الثانية للهجرة على كل بالغ عاقل قادر، ذكر أو أنثى خالية من دم الحيض أو النفاس.
- 2 - أن لصيام رمضان وقيامه فضلا عظيما وأجرا كثيرا، وأن من حُكِمَ الصوم: سمو النفس، واتصالها بعالم الروح، وتحقيق التعاطف الاجتماعي بين مختلف فئات المسلمين، وتقوية الإرادة بالصبر والتحمل، وتحقيق المساواة بين الفقراء والأغنياء.
- 3 - أن في الصوم وقاية صحية وعلاج، حيث يتخلص الجسم به من كثير من المواد الضارة.
- 4 - أن رمضان يثبت بكمال شعبان ثلاثين يوما، أو برؤية عدلين أو مستفيضة، أو عدل واحد بالنسبة لمن لا اعتناء لهم برؤيته، وأنه لا يثبت بقول المنجمين، ومن يستخدمون المراد والآلات التقنية الحديثة.
- 5 - أن الرؤية تعم سائر البلاد المجاورة إن نقلت إليها نقلا صحيحا، وأن من رأى الهلال يجب عليه الصوم، وإن لم تقبل رؤيته، ومن رأى شوال ولم تقبل شهادته فلا يظهر الفطر، بل ينويه في نفسه.

المناقشة:

- 1 - عرف الصوم لغة واصطلاحا.
- 2 - بين ما يثبت به الهلال.
- 3 - اذكر ثلاثا من حكم مشروعية الصوم.
- 4 - اذكر أحكام من رأى الهلال ولم يره غيره.
- 5 - كيف تنقل رؤية الهلال شرعا للقرى المجاورة؟

الدرس الثامن والثلاثون أركان الصوم وشروطه ومندوباته

المنطلق:

- قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى آيِلٍ﴾ (سورة البقرة: 187).
- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تتقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين إلا رجل كان يصوم صوما فليصمه) متفق عليه.
- وعنه أيضا قال: (إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم) متفق عليه.

شرح الكلمات والعبارات:

الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ : أول ما يبدو من ضوء الفجر المعترض في الأفق.
الْخَيْطُ الْأَسْوَدُ : ما يمتد من بقايا ظلمة الليل مع ضوء الفجر.
لا يرفث : لا يفحش في كلامه.
لا يصخب : الصخب رفع الصوت.
سابه : دفعه إلى السب والمشاتمة.

التعليق:

1 - أركان الصوم:

للصوم ركنان، هما:

- أ - النية وهي المحدد لكونه صياما، ويشترط أن تكون في جزء من الليل أو مع الفجر، لما روته أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له) رواه أبو داود.
وتكفي النية الواحدة لكل صوم يجب تتابعه كرمضان وكفارته شريطة أن لا ينقطع تتابعه بسفر أو مرض ونحوهما، فإن عاد إلى الصوم من انقطع تتابع صومه وجب عليه تجديد النية ويندب تجديد النية كل ليلة في الصوم الواجب تتابعه، أما ما يجوز تفريقه كقضاء رمضان والصوم في السفر فلا بد من تبييتها كل ليلة.
- ب - الكف عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس.

2 - شروطه:

للصوم شروط، يمكن أن نقسمها على النحو التالي:

أ - شروط وجوب، وهي:

- البلوغ: فلا يجب على غير البالغ، ويصح منه إن وقع، وعلامات البلوغ هي: خروج المنى أو نبات الشعر على العانة أو بلوغ ثماني عشرة سنة عند مالك أو الحيض أو الحمل.

- القدرة صحيا على الصوم: فلا يجب على المريض، ويصح منه إن وقع.

- الإقامة: فلا يجب على المسافرين، غير أنه يندب له إن لم يشق عليه.

ب - شروط صحة:

للصوم - واجبا كان أو مندوبا - شرطا صحة هما:

- الإسلام: فلا يصح من الكافر.

- قبول الزمن للصوم شرعا: بأن لا يكون يوم الفطر أو يوم الأضحي.

ج - شروط وجوب وصحة معاً، وهي:

- العقل: فلا يجب على المجنون ولا يصح منه إن وقع.

- الخلو من دم الحيض أو النفاس: فلا يجب على الحائض والنفساء، ولا يصح إن وقع منهما.

- دخول شهر رمضان: فلا يجب صوم رمضان قبل دخوله، ولا تبرأ الذمة منه إلا بصومه أداء أو في غيره قضاء.

3 - مندوباته:

للصوم فضائل ومندوبات عديدة، منها:

أ - الإمساك صبيحة يوم الشك (يوم الثلاثين من شعبان) حتى يتبين الأمر، فإن ثبت أنه من رمضان وجب الإمساك والقضاء، أما صوم يوم الشك قضاء وتطوعاً فجاز.

ب - السحور للتقوي على الصوم.

ج - تأخير السحور إلى آخر جزء من الليل.

د - تعجيل الفطر بعد التحقق من الغروب، وكونه على تمرات وترا، وإلا فعلى حسوات من ماء.

هـ - كف اللسان وجميع الجوارح عن الفضول من الأقوال والأفعال التي لا إثم فيها.

و - الصوم في السفر ما لم يشق على صاحبه.

ز - صوم يوم عرفة لغير الحاج، والأيام الثمانية قبله، وصوم عاشوراء، وهو العاشر من شهر محرم، والصوم من رجب وشعبان.

ح - تعجيل قضاء رمضان، وتتابعه.

استخلاص:

- 1 - أن للصوم ركنين هما: النية و الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس.
- 2 - أن شروط الصوم تنقسم إلى:
 - شرطي وجوب وهما: البلوغ والقدرة على الصوم.
 - شرطي صحة، وهما: الإسلام وقابلية الزمن للصوم شرعا بأن لا يكون يوم عيد فطر أو أضحى.
 - شروط صحة ووجوب معا، وهي:
 - . العقل.
 - . الخلو من دم الحيض أو النفاس.
 - . دخول شهر رمضان.
- 3 - أن للصوم مندوبات، وهي:
 - الإمساك صبيحة يوم الشك حتى يتضح أمر الشهر قال الناظم:
من صام يوم الشك يقضي لا يلام إلا احتياطا فهو كره أو حرام
 - كف اللسان عن فضول الكلام.
 - السحور وتأخير.
 - الصيام في السفر لمن لا يشق عليه.
 - صوم يوم عرفة لغير الحاج والثمانية التي قبله.
 - الصوم في رجب وشعبان وعاشوراء.
 - تعجيل قضاء رمضان وتتابعه.

المناقشة:

- 1 - بين أركان الصوم.
- 2 - إلى كم تنقسم شروط الصوم؟
- 3- عدد خمسة من مندوبات الصوم.

الدرس التاسع والثلاثون مكروهات الصوم ومفسداته ومبيحات الفطر و موجبات القضاء و الكفارة

المنطلق:

- قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة البقرة.

- حديث أبي هريرة (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هلكت يا رسول الله، قال: وما أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتي في رمضان فقال: هل تجد ما تعتق رقبة قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال: لا، قال: فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً قال: لا...) متفق عليه.

- قوله صلى الله عليه وسلم: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) رواه البخاري.

شرح الكلمات والعبارات:

فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ : أي يجب قضاء الأيام التي حصل له فيها العذر.

قول الزور : الكذب.

التعليق:

1 - مكروهات الصوم:

للصوم مكروهات عديدة ينبغي للصائم أن يتجنبها، ويبتعد عنها، ومن هذه المكروهات:
أ - ذوق ما له طعم كذوق الطعام والشاي... فيكره له ذلك مخافة أن يسبق منه شيء إلى حلقه.

ب - مضغ الأشياء وطرحها، فإن سبق شيء منها للحلق وجب على الصائم القضاء.

ج - صوم ستة من شوال موصولة بالعيد، فهو مكروه عند الإمام مالك كتعيين الأيام الثلاثة البيض: (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) للصوم من كل شهر، ولا كراهة إن فرق الستة من شوال، أو لم يعين الأيام البيض.

د - مقدمات الجماع كالتفكير والنظر إن علمت السلامة من خروج المنى، وإلا حرمت. هـ تطوع من عليه قضاء رمضان، أو نذر أو صوم كفارة.

و - نذر صوم يوم مكرر ككل خميس، وكذلك صوم الدهر.

ز - التطيب أو شم الطيب نهارا.

2 - مفسداته:

يفسد الصوم بما يلي:

أ - الجماع أو إخراج المنى أو المذي بمقدمات الجماع، ولو نظرا وتفكيراً، لا إن خرج أحدهما بنفسه، وصول مائع من شراب أو دهن أو نحوهما للحلق حتى وإن لم يصل للمعدة، وكذا لو وصل من غير الفم بأن دخل من العين أو الأذن أو الأنف نهاراً، أما إذا كان استعماله ليلاً - بأن دهن الصائم رأسه في الليل - ثم وصل جزء منه إلى الحلق نهاراً فلا يضر ذلك صومه.

ب - وصول غير المائع إلى المعدة من الفم بخلاف ما وصل إلى الحلق فقط فلا يضر.

ج - تعتمد القيء، أو إرجاعه أو إرجاع قلنس إلى الجوف إن أمكن طرحهما، فإن خرج القيء بنفسه، ولم يزدرد (يبتلع) منه شيء لم يضر ذلك، وإن ازدرد الصائم منه شيئاً فعليه القضاء، ولا شيء عليه في ابتلاع البلغم والبصاق.

د - طرؤ دم الحيض أو النفاس على المرأة ولو قبل الغروب بلحظة واحدة.

3 - مبيحات الفطر:

الدين الإسلامي دين يُسر، وشريعته السمحة لا مشقة فيها ولا إصر، قال تعالى: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) (سورة البقرة: 185).

فالصائم يباح له الفطر إذا علم أو ظن ظناً قوياً حصول ضرر لنفسه أو بدنه، أو إعاقته عن واجباته الضرورية من سفر أو إرضاع.

ومبيحات الفطر هي:

أ - المرض:

يباح الفطر إذا خاف الصائم بصومه زيادة المرض، أو تأخر برئه أو حدوث مرض آخر، ويكون ذلك بتجربة أو إخبار طبيب عارف مؤتمن، بينما يجب الفطر على الصائم إذا خاف بصومه هلاكاً أو أذى شديداً أو تعطيل إحدى حواسه.

ب - الرضاع والحمل:

فیباح الفطر للحامل والمرضع إذا خافتا على الجنين أو الرضيع ضرراً، ويجب إذا خافتا عليهما أو على نفسيهما هلاكاً أو شديد ضرر، ويجب الصوم على المرضع التي يمكنها الاستئجار على الرضاع، ويقبل ولدها غيرها.

ج - السفر:

يجوز الفطر للمسافر بأربعة شروط هي:

● أن يكون السفر مسافة قصر، فإن أفطر المسافر فيما دونها متأولاً فعليه القضاء

دون الكفارة.

- أن يكون السفر مباحا، فإن سافر لمعصية كالسرقة ونحوها فأفطر فعليه القضاء والكفارة.
- أن يشرع في السفر قبل الفجر، بأن يجاوز أطراف المدينة قبل الفجر، ولا يفطر عند المالكية من سافر في نهار رمضان، وإن أفطر فلا كفارة عليه.
- أن يبني الفطر خلال سفره.

ويندب للمسافر الصوم إن لم يشق عليه، قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: 184).

د الهرم وهو: ما يعجز من بلغه عن الصوم لكبر سنه، ومثل الهرم العطش وهو الذي لا يستطيع الصوم في أي فصل من الفصول، وتندب لهما الفدية، وهي: إخراج مد من غالب القوت للفقراء والمساكين عن كل يوم. ويحرم الصيام على الحائض والنفساء، ولا يجزئهما إن صامتا في رمضان ولا في غيره.

4 - موجبات الكفارة وأنواعها:

- أ - ما تلزم منه الكفارة والقضاء معا:
- وهو تعمد الصائم إفساد صومه في نهار رمضان اختيارا غير متأول تأويلا قريبا ولا جاهل حكم ذلك، ويكون ذلك بأحد الأمور التالية:
- الجماع ولو بمجرد إدخال الحشفة في الفرج.
 - إخراج المني ولو بالنظر أو التفكير.
 - رفع النية نهارا.
 - تعمد الأكل أو الشرب أو ابتلاع القيء نهارا.
 - الفطر لترقب حيض أو حمى ولو حصلا بعد ذلك.
- ب - ما يلزم منه القضاء فقط:

وهو كل ما أفسد الصوم من غير ما تقدم مما لا تلزم فيه الكفارة، كمن أفطر ناسيا أو لعذر أو بتأويل قريب.

أنواع الكفارة:

- يكفر من تعمد إفساد صوم رمضان بأحد ثلاثة أمور على التخيير هي:
- الإطعام: وهو أفضل أنواع الكفارة، ويكون بإطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد بمده صلى الله عليه وسلم، وهو: ملء اليدين المتوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين، وتتعدد الكفارة بتعدد الأيام لا بتعدد الفطر في اليوم الواحد إن حصل موجبا قبل الكفارة وإلا تعددت.
 - صوم شهرين متتابعين، فإن أفطر أثناءهما يوما عامدا: بطل ما صامه واستأنف

- عتق رقبة مؤمنة ليست فيها شائبة حرية سليمة من العيوب ذكرا كانت أو أنثى.

استخلاص:

- 1 - أن من مكروهات الصوم: ذوق ما له طعم، ومضغ تمر ونحوه، ومقدمات الجماع من لمس أو نظر أو فكر، إن علمت السلامة في الكل من خروج مني وإلا حرمت، ونذر صوم مكرر، وتطوع من عليه قضاء أو نذر، واستعمال الطيب وشمه نهارا.
- 2 - أن الأعذار المبيحة للفطر هي: المرض، والسفر، والحمل، والإرضاع، والشيخوخة التي يشق معها الصوم.
- 3 - أن القضاء والكفارة يلزمان معا بتعمد: إخراج مني أو مغيب حشفة في فرج، أو أكل أو شرب نهارا، أو تعمد ابتلاع القيء أو رفض النية نهارا، أو بإفساد الصوم لترقب حيض أو حمى ولو حصلا، وأن القضاء يلزم بفساد الصوم في غير ما ذكر.
- 4 - أن الكفارة ثلاثة أنواع على التخيير: إطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد بمدّه صلى الله عليه وسلم، أو صيام شهرين متتابعين، أو عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب.

المناقشة:

- 1 - متى يكون السفر والمرض مبيحين للفطر؟
- 2 - اذكر ثلاثة من الأمور التي يكره للصائم تعاطيها.
- 3 - اذكر ثلاثا من مفسدات الصوم.
- 4 - ما أنواع الكفارة؟ وما أفضلها؟

الدرس الأربعون فضل الصيام وآدابه

المنطلق:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: 35).

- وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، مِنْهَا بَابٌ يُسَمَّى الرِّيَّانَ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ) « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ، فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَالصَّيَّامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِهِ أَحَدَكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

شرح الكلمات والعبارات:

الريّان	: باب من أبواب الجنة الثمانية.
إيماننا	: تصديقًا وامتثالًا.
احتسابا	: رغبة في ثواب الله.
خلوف فم الصائم	: هو تغير رائحته بسبب الصيام.
جُنَّةٌ	: وقاية.

التعليق:

يجب الصيام في رمضان، ويحرم في يومي عيد الفطر والأضحى، ويندب في رجب وشعبان وست من شوال، وفي التسع الأول من ذي الحجة ويتأكد الندب في التاسع

منه لغير الحاج، ويندب في الأيام البيض من كل شهر (13-14-15)، ويوم الإثنين والخميس، ويبقى فضيلة في بقية العام، وله فضل عظيم لقوله صلى الله عليه وسلم (من صام يوماً في سبيل الله عز وجل زحزح الله وجهه عن النار بذلك اليوم سبعين خريفاً) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه.

ولما كانت القربات أفضلها عند الله القيام بما أوجب من الطاعات على وفق ما شرع، وكان شهر رمضان تضاعف فيه الأعمال كانت الصدقة فيه أفضل، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان، وكذا قيام الليل وتلاوة القرآن والاعتكاف فيه والاعتماد لقوله صلى الله عليه وسلم (عمرة في رمضان تعدل حجة معي) رواه أبو داود.

والصيام عبادة من أجلّ العبادات، وقربة من أعظم القربات، وهو دأب الصالحين وشعار المتقين، يزكي النفس ويهذب الخلق، وهو مدرسة التقوى ودار الهدى، من دخله بنية صادقة واتباع صحيح خرج منه بشهادة الاستقامة، وكان من الناجين في الدنيا والآخرة، وعليه فلا غرو أن ترد في فضل الصيام نصوص كثيرة تبين فضله وعظيم أجره، وما أعده الله لأهله، وتحث المسلم على الاستكثار منه، وتهون على الصائم ما قد يجده من عناء ومشقة في أدائه، ويعد الصيام مدرسة صحية وتربوية واجتماعية، مبنية على الصبر، ومخالفة النفس، وكسر الشهوة واحترام النظام، والتزام الجماعة والإحسان إلى الفقراء، ومواساة المساكين والمحتاجين، وتطهير الروح والانشغال بالطاعات والقربات. وللصيام فضائل كثيرة ومعانٍ سامية جليلة، نذكر أهمها على النحو التالي:

1- إضافة الصيام لله تعالى تشريف لقدره وتعريف بعظيم أجره:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قَالَ اللَّهُ: (كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) متفق عليه. وقد وردت عن أهل العلم أوجه كثيرة في بيان معنى الحديث وسبب اختصاص الصوم بهذا الفضل، منها: أن الصيام لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره، ومنها: أن الله سبحانه وتعالى يضاعف ثوابه.

2- الصيام من أفضل الأعمال عند الله تعالى:

يعد الصيام من أفضل الأعمال، فهو من الأعمال الصالحة التي لا عدل لها، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِأَمْرٍ يَنْفَعَنِي اللَّهُ بِهِ، قَالَ: (عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ) رواه أحمد والنسائي.

3- الصيام سبب لدخول الجنة:

فمن أسباب دخول الجنة الصيام فأحد أبواب الجنة الثمانية « باب الريان » وهو باب يدخل منه الصائمون الجنة كما في حديث سهل السابق.

وللصائم فرحتان لما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (... لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرَحٌ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرَحٌ بِصَوْمِهِ) رواه البخاري ومسلم.

فيفرح الصائم إذا أفطر بزوال جوعه وعطشه، وبتمام صومه وعند لقاء ربه؛ لما يجد من

جزاء عظيم.

4- استجابة دعائه:

إن من فضل الصيام أن دعاء الصائم مستجاب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر) رواه البيهقي.

5- الصيام جنة من شهوات الدنيا وعذاب الآخرة:

الصيام جنة، أي: وقاية في الدنيا والآخرة، فيقي المسلم في الدنيا من الوقوع في الشهوات والمعاصي، ويقيه في الآخرة من العذاب، فهو حصن حصين في الآخرة من النار، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَاعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) متفق عليه، فمن ختم عمره بصيام يوم بأن مات وهو صائم أو بعد فطره من صومه دخل الجنة مع السابقين الأولين، أو من غير سبق عذاب.

6- يتحقق بالصيام أجر الصبر:

فيجتمع في الصيام أنواع الصبر الثلاثة، وهي الصبر على طاعة الله، وعن معصية الله سبحانه وتعالى، فهو صبرٌ على طاعة الله لأن الصائم يصبر على هذه الطاعة ويفعلها. وصبرٌ عن معصية الله سبحانه وتعالى؛ لأن الصائم يتجنب المعصية حال صيامه. وصبرٌ على كبح شهوات النفس؛ لذا كان الصوم من أعلى أنواع الصبر؛ لأنه جامع بين الأنواع الثلاثة، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (10) سورة الزمر.

7- الصيام كفارة للخطايا والذنوب:

إن الصيام من الأعمال التي يكفر الله بها الخطايا والذنوب، فعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، يُكْفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ) رواه البخاري ومسلم.

وقد جعل الله الصيام كفارة لأمر كثيرة منها:

أ- كفارة فدية الأذى في الحج أو العمرة، فقال تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ﴾ (196) سورة البقرة.

ب- كفارة المتمتع إذا لم يجد الهدي في الحج، فقال تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتَ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (196) سورة البقرة.

ج- كفارة القتل الخطأ، فقال تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ (92) سورة النساء.

د- كفارة اليمين، فقال تعالى: (...فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ) (89) سورة المائدة.

8- الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة:

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الصَّيَّامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ، يَقُولُ الصَّيَّامُ: رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَّابَ بِالنَّهَارِ؛ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: رَبِّ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ؛ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، فَيُشَفِّعَانِ) رواه أحمد وصححه الألباني.

استخلاص:

- 1- أن الصيام له فضل عظيم فهو ستر من النار ومفتاح للجنان، وسبب للغفران، فيجازي به الله الصائمين الدخول من باب الريان.
- 2- الصيام نية وخلق يراد به وجه الله تعالى لا مجرد ترك للشهوات فعلى الصائم التخلق بأداب الصيام ومقتضياته بالامتناع عن كل ما ينافيه حفاظا على أجر صيامه وخوفا عليه من الفساد لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) رواه البخاري.
- 3- المحافظة على الصيام وآدابه والمداومة على المنسوب محافظة على السنة وسد لخلل الواجب.
- 4- أن الصيام لمشقة باب للتدريب على الصبر ومن صبر ظفر فكان من الناجين.
- 5- الصيام وقت لإجابة الدعاء وكفارة للخطايا والذنوب وشفيع عند الله.

المناقشة:

- 1- تعترى الصيام أحكام الشرع، فكيف ذلك؟ اذكر مثالا لكل واحد.
- 2- ما الذي يتميز به الصيام عن سائر الطاعات؟
- 3- الصيام جنة، فكيف يكون ذلك؟
- 4 - أفضل صيام التطوع صيام نبي الله داود، فكيف كان؟
- 5- ما الأمور المنافية للصوم؟

الدرس الحادي والأربعون الزكاة

تعريفها - حكمها - أهميتها - الحكمة من مشروعيتها

المنطلق:

- قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (43) سورة البقرة.
- قوله صلى الله عليه وسلم (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان) متفق عليه.

التعليق:

1 - تعريف الزكاة وتاريخ فرضها:

أ - تعريفها:

الزكاة لغة الزيادة، وشرعا: إخراج قدر مخصوص من مال بلغ نصابا لمستحقه إن تم الملك وحال الحول، وتطلق أيضا على المال المخرج في الزكاة، وسميت زكاة لما فيها من تطهير المال وتزكية النفس، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (103) سورة التوبة.

ب - وقد فرضت الزكاة في السنة الثانية للهجرة.

2 - حكمها:

الزكاة ركن من أركان الإسلام فرض على كل من ملك نصابا، وحكمها ثابت بالكتاب والسنة والإجماع لقوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾ (43) سورة البقرة. ولقوله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس...» الحديث.
كما أجمعت الأمة على وجوبها، فجاحد وجوبها كافر يستتاب ثلاثة أيام، فإن لم يتب قتل كتارك الصلاة، أما مانعها فيقاتل حتى تؤخذ منه قهرا.

3 - أهميتها والحكمة من مشروعيتها:

أ - أهميتها:

الزكاة مصدر أساسي من مصادر بيت مال المسلمين وعامل من عوامل التكافل الاجتماعي، وأهم الحقوق التي جعلها الله في المال، ورمز للإيمان، والرضى من المؤمن بما شرع الله في المال.

ولأهميتها في الإسلام قُرن منعها في القرآن بالكفر قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوجِبُ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَٰهُ وَحْدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ۖ وَأَنذَرْتُ لِمُتَّبِعِينَ ۖ﴾ (6) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿7﴾ سورة فصلت.

ب - من حكم مشروعيته:

- التقرب إلى الله بامتثال أوامره والشكر له على نعمه.

- تطهير النفس من رذيلة البخل والشح والجشع، قال تعالى: ﴿فَانْفِقُوا ۖ إِنَّهُ لَا يُسْطَعِمُ ۖ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا ۖ وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۖ وَمَنْ يُؤْخِشْ نَفْسَهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۖ﴾ (16) سورة التغابن.

- تقوية الصلة والمودة والمحبة بين أفراد المجتمع لأن الفقير إذا نال حقه من مال الغني طهرت نفسه من الحسد والحقد.

- إقامة المصالح العامة التي تتوقف عليها مصالح الأمة.

- الحد من تضخم الأموال عند التجار وأرباب العمل من الأغنياء، أو بقائها دولة بين الأغنياء، أو محصورة بأيدي طائفة محدودة.

استخلاص:

1 - أن الزكاة ركن من أركان الإسلام، فرضت في السنة الثانية للهجرة، وحكمها ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

2 - أن الزكاة مورد أساسي من موارد بيت مال المسلمين، يضمن للفقراء حقوقاً في أموال الأغنياء ويحقق التكافل والتضامن بين مكونات المجتمع.

3 - أن الزكاة تطهر النفس من رذيلة البخل والشح وتحد من تضخم المال عند الأغنياء وتجعل للفقير حقا في مال الغني يسد به خلته فتطيب نفسه ويسلم من حسد الغني والحقد عليه.

المناقشة:

1 - عرف الزكاة.

2 - على من تجب الزكاة؟ وما دليل وجوبها؟

3 - متى فرضت؟ وما الحكمة من مشروعيته؟

4 - ما علاقة الزكاة بالإيمان؟

الدرس الثاني والأربعون زكاة الماشية

المنطلق:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَتَبَ لَهُ هَذَا الْكِتَابَ لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذِهِ فَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ الَّتِي فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا رَسُولُهُ، «فَمَنْ سَأَلَهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى وَجْهِهَا، فَلْيُعْطِهَا وَمَنْ سَأَلَ فَوْقَهَا فَلَا يُعْطِ فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْإِبِلِ، فَمَا دُونَهَا مِنَ الْغَنَمِ مِنْ كُلِّ خُمْسٍ شَاةً، إِذَا بَلَغَتْ خُمْسًا وَعِشْرِينَ إِلَى خُمْسٍ وَثَلَاثِينَ، فَفِيهَا بَنْتٌ مَخَاضٍ أَنْثَى، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَثَلَاثِينَ إِلَى خُمْسٍ وَأَرْبَعِينَ فَفِيهَا بَنْتٌ لَبُونٌ أَنْثَى، فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ إِلَى سِتِّينَ فَفِيهَا حِقَّةٌ طُرُوقَةٌ الْجَمَلِ، فَإِذَا بَلَغَتْ وَاحِدَةً وَسِتِّينَ إِلَى خُمْسٍ وَسَبْعِينَ، فَفِيهَا جَذَعَةٌ فَإِذَا بَلَغَتْ سِتًّا وَسَبْعِينَ إِلَى تِسْعِينَ، فَفِيهَا بَنْتًا لَبُونٌ فَإِذَا بَلَغَتْ إِحْدَى وَتِسْعِينَ إِلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ، فَفِيهَا حَقَّتَانِ طُرُوقَتَا الْجَمَلِ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ، فَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ بَنْتٌ لَبُونٌ وَفِي كُلِّ خُمْسِينَ حِقَّةٌ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلَّا أَرْبَعٌ مِنَ الْإِبِلِ، فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا، فَإِذَا بَلَغَتْ خُمْسًا مِنَ الْإِبِلِ، فَفِيهَا شَاةٌ وَفِي صَدَقَةِ الْغَنَمِ فِي سَائِمَتِهَا إِذَا كَانَتْ أَرْبَعِينَ إِلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ شَاةً، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى عِشْرِينَ وَمِائَةٍ إِلَى مِائَتَيْنِ شَاتَانِ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى مِائَتَيْنِ إِلَى ثَلَاثِ مِائَةٍ، فَفِيهَا ثَلَاثُ شِيَاهٍ، فَإِذَا زَادَتْ عَلَى ثَلَاثِ مِائَةٍ، فَفِي كُلِّ مِائَةٍ شَاةً، فَإِذَا كَانَتْ سَائِمَةُ الرَّجُلِ نَاقِصَةً عَنْ أَرْبَعِينَ شَاةً وَاحِدَةً، فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا) رواه البخاري.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (بعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فأمرني أن آخذ من كل ثلاثين بقرة تبيعاً أو تبيعة، ومن كل أربعين مسنة...) الترمذي.

التعليق:

زكاة الماشية:

أ - الإبل:

يبين الحديث السابق أن نصاب الإبل 5 رؤوس وتلزم فيها شاة من الغنم، وتلزم في 10 رؤوس منها شاتان، وفي 15 رأساً منها 3 شياه، وفي 20 رأساً منها 4 شياه، فإذا بلغت 25 رأساً ففيها بنت مخاض أو ابن لبون.

وفيما بين 36 و45 رأساً بنت لبون، وفيما بين 46 و60 حقة، وفيما بين 61 و75 جذعة، وفيما بين 76 و90 بنتاً لبون، وفيما بين 91 و120 حقتان، فإذا زادت على 120، ففي كل 40 بنت لبون، وفي كل 50 حقة.

ب - الغنم:
نصاب الغنم 40 رأساً ففيها شاة، فإذا زادت على 120 إلى 200 ففيها شاتان، فإذا زادت على 200 إلى 300 ففيها ثلاث شياه، فإذا زادت على 300 ففي كل 100 شاة.

ج - البقر:
نصاب البقر 30 رأساً، ويلزم فيها تتبع أو تبعية، فإذا بلغت 40 رأساً ففيها مسنة.
ملاحظة:

يجمع في الزكاة بين:

أ - الإبل العرب (ذات السنام الواحد) والإبل البخت (ذات السنامين).

2 - البقر والجاموس.

3 - المعز والضأن.

4 - حول النسل حول الأمهات.

استخلاص:

1 - أن الجدول التالي يبين زكاة الماشية:

النوع	العدد	ما يخرج عنه	السن
الإبل	5 رؤوس	جذعة من الغنم	سنة واحدة
	10 رؤوس	جذعتين من الغنم	سنة واحدة
	15 رأساً	3 جذعات من الغنم	سنة واحدة
	20 رأساً	4 جذعات من الغنم	سنة واحدة
	25 رأساً	بنت مخاض من الإبل	وهي ما أوفت سنة ودخلت في الثانية
	36 رأساً	بنت لبون	وهي ما أوفت سنتين ودخلت في الثالثة
	46 رأساً	حقة	وهي ما أوفت ثلاث سنين ودخلت في الرابعة
	61 رأساً	جذعة	وهي ما أوفت أربع سنين ودخلت في الخامسة
	76 رأساً	بنتا لبون	وهي ما أوفت سنتين ودخلت في الثالثة
	91 رأساً	حقتان	وهي ما أوفت ثلاث سنين ودخلت في الرابعة
	129 - 121 رأساً	ثلاث بنات لبون او حقتان	وهي ما أوفت سنتين ودخلت في الثالثة
	130 رأساً	حقة وبنتا لبون	أربع سنوات وثلاث سنوات

الغنم	40 - 120 شاة	شاة	سنة واحدة أو أكثر
	121 - 200 شاة	شأتان	سنة واحدة أو أكثر
	201 - 399 شاة	ثلاث شياه	سنة واحدة أو أكثر
	400 شاة	أربع شياه	سنة واحدة أو أكثر
البقر	30 رأسا	تبيع	سنتان
	40 رأسا	مسنة	دخلت في السنة الرابعة

2 - أن الإبل إذا بلغت 120: فكلما زادت 10: ففي كل 40 بنت لبون، وفي كل 50 حقة، وأن الغنم إذا بلغت 300: أخرج عن كل مائة شاة، وأن البقر إذا زاد على 60: ففي كل 30 تبيع، وفي كل 40 مسنة ولا تزكى الأوقاص في الماشية.

المناقشة:

- 1 - ما أقل نصاب في الإبل؟ ومتى تزكى من نوعها؟
- 2 - ما أقل نصاب في البقر؟ وماذا يخرج عن 70 بقرة؟
- 3 - ماذا يخرج عن 399 شاة من الغنم؟

الدرس الثالث والأربعون زكاة الحبوب والثمار

المنطلق:

- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (141) سورة الأنعام.

- حديث أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة) رواه البخاري ومسلم.

قوله صلى الله عليه وسلم (فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وما سقي بالنضح نصف العشر) رواه البخاري.

شرح الكلمات والعبارات:

جَنَّاتٍ : بساتين.
مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ : منها المرفوع عن الأرض كالأعناب ومنها القائم على سوقه.
حَقَّهُ : زكاته.
عثريا : ما نبت بنفسه من دون جهد أو كلفة.

التعليق:

زكاة الحبوب والثمار:

أ - أنواعها:

تجب الزكاة في عشرين صنفا من الحبوب وهي : القمح والشعير والسلت فيُجمع بينها والذرة والعلس والدخن والأرز وفي أصناف القطن كالحمص والعدس والفول والبسيلة والجلبان واللوبياء والترمس، وذوات الزيوت وهي الزيوت كالزيتون والسمسم والقرطم وحب الفجل ونوعين من الثمار هما: التمر والزبيب وعلل الفقهاء ذلك بأن الزكاة تجب في المقتات المدخر.

ب - شروط زكاتها:

- بلوغ النصاب:

- والنصاب في زكاة الحرث خمسة أوسق لقوله صلى الله عليه وسلم: (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة) متفق عليه.
 - والوسق ستون صاعاً، والصاع أربعة أمداد بمده صلى الله عليه وسلم، وهو ملء اليدين المتوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين، فالنصاب إذن 300 صاع والاعتماد في ذلك أصلاً على الخرص والتقدير مخافة أن ينتقص حق مستحقي الزكاة حين يحصد المزارع وقد أكل وأعطى .
- ويُحسب في الأوسق الخمسة ما أكله المزكي وما وهبه أو تصدق به أو استأجر به بعد الإفراك والطيب.

- الطيب والإفراك:

فتجب الزكاة بإفراك الحب، وهو نضجه وبلوغه حد الأكل، وتجب في الثمار بطيبتها، وهو الزهو في بلح النخل وظهور الحلاوة في العنب ولا ينتظر فيها الحول بل تجب بالحصاد.

ج - القدر المخرج عنها:

الواجب فيها العشر، إن سقيت بماء المطر أو العيون أو الأنهار، ونصف العشر إن سقيت بآلة كالسواقي والدلاء، وإذا سقي نصفها بآلة ونصفها الآخر بغيرها ألحق كل نصف بحكمه لقوله صلى الله عليه وسلم (فيما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً العشر، وما سقي بالنضح نصف العشر) البخاري.

استخلاص:

- 1- أن زكاة الحبوب والثمار تجب في عشرين صنفاً هي:
ذوات الزيوت الأربع، والقطاني السبع، والتمر والزبيب، والقمح والشعير والسلت يضم بعضها لبعض، والعلس والذرة والدخن والأرز.
- 2- أن النصاب في الحبوب والثمار خمسة أوسق.
- 3- أن الواجب فيها العشر إن سقيت بلا كلفة ونصف العشر فيما سقي بالنضح.

المناقشة:

- 1- ما الذي تختص به زكاة الحرث عن غيرها؟
- 2- من المعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذ زكاة من الخضروات والفواكه، ما الذي استنبطه الفقهاء من ذلك؟
- 3- ما أصناف الحبوب التي تجب فيها الزكاة؟ ومتى تجب فيها؟

الدرس الرابع والأربعون زكاة العين والعروض والأوراق البنكية

المنطلق:

- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْزُبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (34) يَوْمَ يُجْعَلُ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِتْكُوفٌ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْزِبُونَ ﴿35﴾ سورة التوبة.

- وعن علي-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (...فإذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم وليس عليك شيء يعني في الذهب حتى يكون لك عشرون دينارا فإذا كان لك عشرون دينارا وحال عليها الحول ففيها نصف دينار فما زاد فبحسب ذلك، وليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول) أبو داود.

التعليق:

1 - زكاة العين والعملات:

أ - شروط زكاة العين:

تطلق العين على الذهب والفضة، وقد ورد في الآيات السابقة تحذير شديد لمن يكنزهما ولا يؤدي زكاتهما، وتجب فيهما الزكاة بالشروط التالية:

- اتخاذهما للتجارة أو الكراء، أما إذا اتخذتا للزينة المباحة شرعا فلا زكاة فيهما، فعن نافع: (أن عبد الله بن عمر كان يحلي بناته وجواريه الذهب ثم لا يخرج من حليهن الزكاة) رواه مالك في الموطأ.

- بلوغهما النصاب فلا تجب فيهما الزكاة إلا إذا بلغا النصاب.

- حلول الحول عليهما والمعتبر فيه حول السنة القمرية.

ب نصابهما و المخرج عنهما:

نصاب الذهب 20 دينارا، ونصاب الفضة 200 درهم، والواجب فيهما ربع العشر (2.5%)، ويجمع بين الذهب والفضة إذا لم يبلغ كل منهما نصابا، كمن له 100 درهم و10 دنانير.

وتعامل العملة الوطنية والعملات الأجنبية معاملة العين، فيزكى منها ما بلغت قيمته 20 دينارا أو 200 درهم وحال عليه الحول.

2 - زكاة التجارة:

أ - العروض وشروط زكاتها:

- مفهومها:

العروض هو ما سوى العين من السلع، وإنما تجب فيه الزكاة إذا كان معدا للتجارة، بخلاف ما أريد للقيمة والاستعمال كدار السكنى وأثاث المنزل فلا يزكى إلا إذا بيع بمزكى من عين أو ماشية فيستقبل بثمنه حول جديد من تاريخ قبضه.

شروط زكاة عروض التجارة:

- أن يكون العرض مما لا تتعلق الزكاة بعينه مثل الثياب أو المواد الغذائية، بخلاف العين والماشية والحبوب... فإن زكاتها من نوعها حسب ما تقدم.
- أن يملك بشراء لا بهبة أو إرث، فإن ملك بهما وأراد مالكة الاتجار به، فإنه يستقبل بثمنه عاما من يوم قبض ثمنه لا من يوم ملكه.
- أن ينوي وقت شرائه للعرض التجارة به أو التجارة والغلة أو التجارة والانتفاع.
- أن يكون الثمن الذي اشتري به العرض عينا أو عرضا ملك بشراء.
- أن يبيع من عروضه ما يقدر بنصاب من الذهب والفضة إن كان محتكرا أو يبيع شيئا من عروض تجارته بعين ولو درهما أو دينارا إن كان مديرا.

ب - أنواع التجار:

التاجر إما:

- مدير: وهو الذي يبيع بالسعر الجاري كيف كان ويعوض ما باعه بغيره كأصحاب الحوانيت عندنا، ويقوم عند تمام الحول ما عنده من عروض ويضم قيمتها إلى ما عنده من النقد ويزكي الجميع.

- محتكر وهو الذي يرصد السوق بعروض تجارته وينتظر ارتفاع الأسعار وغلاء البضاعة، ويزكي ما باع إذا بلغ نصابا لسنة واحدة فقط ولو بقيت عنده العروض أعواما، ولا زكاة عليه إن باعها قبل تمام الحول.

3 - زكاة الدين:

الدين إما مرجو أو غير مرجو، فإن كان مرجوا قوم وضم مجموعه إلى ما عند ربه وزكي الجميع، وإن كان غير مرجو، فلا زكاة فيه حتى يقبض، فإذا قبض زكي لعام واحد فقط، وإن كان على المزكي دين نزعه مما عنده وزكى ما بقي إن بلغ نصابا وكان عينا أو عروضاً أما غيرهما فلا يمنع الدين زكاته.

استخلاص:

1 - أن الزكاة تجب في الذهب والفضة وفي العملات باعتبارها قيما للمتلفات وأثمانا للأقوات والمدخرات .

- 2 - أن نصاب الذهب 20 ديناراً ونصاب الفضة 200 درهم أو ما بلغ قيمة أحدهما من الأوراق البنكية بشرط تمام الحول، والواجب في ذلك ربع العشر أي 2.5%.
- 3 - أن الزكاة تجب في العروض المعدة للتجارة بالشروط المتقدمة.
- 4 - أن التاجر المحتكر وهو الذي يرصد بتجارته تقلبات السوق فيزكي ما باع إذا بلغ نصاباً زكاة سنة واحدة ولو بقيت عنده العروض أعواماً، أما التاجر المدير وهو الذي يبيع تجارته بالسعر المتاح له كيف كان، فيقوم كل عام ما بيده من عروض ويضم قيمتها إلى ما عنده من النقد ويزكي الجميع.
- 5 - أن الدين المرجو يعامل معاملة الموجود ويزكى معه، أما غير المرجو فلا يزكى حتى يقبض، فإن قبض ولو بعد أعوام زكي لسنة واحدة فقط.

المناقشة:

- 1 - ما أقل نصاب في الذهب والفضة؟ وكم يخرج عنهما؟
- 2 - هل تجب الزكاة في الأوراق البنكية؟ وما شروط زكاتها؟
- 3 - ما المدير؟ وما المحتكر؟ وما الفرق بينهما في الزكاة؟
- 4 - كيف يزكي تاجر عليه دين، وله دين بعضه مرجو، وبعضه غير مرجو؟

الدرس الخامس والأربعين زكاة الفطر ومصارف الزكاة

المنطلق:

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة) متفق عليه.
- عن ابن عباس قال: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين) أبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ سورة التوبة.

شرح الكلمات والعبارات:

اللغو : الساقط من الكلام.
الرفث : الكلام الفاحش.
طعمة : طعاماً.
وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا : من يسعون في جمعها وتوزيعها.
وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ : قريبو العهد بالإسلام أو كفار يرجى إسلامهم أو يخشى شرهم.
وَفِي الرِّقَابِ : فك الرقاب وعتقها.
وَالْغَرَمِينَ : من استدانوا في مقصد شرعي.
وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ : في الجهاد.
وَابْنِ السَّبِيلِ : المسافر المحتاج ولو كان غنيا ببلده.

التعليق:

1 - زكاة الفطر:

أ - مفهومها:

هي صدقة تدفع يوم الفطر زكاة للأبدان وطهرة للصائمين من اللغو والرفث.

ب - حكمها والحكمة منها:

- حكمها:

زكاة الفطر سنة واجبة، فتجب على كل مسلم قادر على إخراجها، وهو من فضلت عن قوته وقوت عياله يوم عيد الفطر، فيخرجها وقت وجوبها عن نفسه وعن كل من تجب عليه نفقته ولو بتسلف، وإن لم يجد ما يكفي لإخراجها عن جميع من يلزمه إخراجها عنهم أخرج ما في وسعه بادئاً بنفسه ثم زوجته فابنه فأبيه...

- من حكم مشروعيها:

- تطهير نفس الصائم مما قد يكون قد علق بها من آثار اللغو والرفث.
- إغناء الفقراء عن السؤال يوم العيد.
- إدخال السرور عليهم.

ج - مقدارها وأنواع الطعام الذي تخرج منه:

مقدار زكاة الفطر صاع، والصاع أربعة أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم، والمد ملء اليدين المتوسطتين لا مقبوضتين ولا ميسوطتين، أما ما تخرج منه فهو غالب قوت أهل البلد من الأصناف التالية: القمح - الشعير - السلت - الذرة - الدخن - الأرز - التمر - الزبيب - الأقط (اللبن المجفف) لما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: (كنا إذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرج زكاة الفطر عن كل صغير وكبير حر ومملوك صاعاً من طعام أو صاعاً من أقط أو صاعاً من شعير أو صاعاً من زبيب) متفق عليه.

د - وقت وجوبها ومن تدفع له (مستحقوها):

تجب زكاة الفطر من غروب شمس آخر يوم من رمضان إلى طلوع شمس يوم عيد الفطر، ويندب إخراجها بعد الفجر وقبل الصلاة، ويحرم تأخيرها عن يوم العيد، ولا تسقط بمضي وقتها، ويجوز تقديمها بنحو يومين، كما يجوز دفع صاع واحد لعدة فقراء ودفع صيعان لفقير واحد، أما مصرفها فهو الحر المسلم الفقير أو المسكين.

2- مصارف الزكاة:

عين الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم الفئات التالية لتصرف لهم الزكاة كمايلي:

- الفقراء المسلمون الذين لا يجدون ما يكفيهم لنفقة سنة.

- المساكين من المسلمين الذين لا يملكون شيئاً يغنيهم، وهم أحوج من الفقراء على اعتبار أن المسكين من عجز عن الكسب.

- العاملون عليها: وهم الذين يسعون في جمعها أو توزيعها ولو كانوا أغنياء لأن ما يأخذونه منها مقابل عملهم.

- المؤلفة قلوبهم: وهم نوعان:

- كفار يُخشى شرهم أو يُرجى إسلامهم، فيعطون منها اتقاء لشرهم أو ترغيباً لهم في الإسلام.

• قريبو عهد بالإسلام، فيعطون منها تأليفا لقلوبهم وترغيبا لقومهم في الدخول في الإسلام.

- في الرقاب: فك الرقاب وهو عتقها إذا كانت مسلمة.
- الغارمون: وهم من استدانوا في نفقة واجبة أو معروف أو إصلاح بين الناس، وعجزوا عن الأداء فيعطون منها لأن مقصدهم شرعي.
- في سبيل الله: وهم المجاهدون لإعلاء كلمة الله، فيعطون منها ولو كانوا أغنياء.
- ابن السبيل: وهو المسافر المحتاج في سفر مباح ولو كان غنيا ببلده.

استخلاص:

- 1 - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر صاعا من غالب القوت على كل مسلم قادر على إخراجها، وأن الشخص يجب عليه أن يخرجها عن نفسه وعن من تلزمه نفقته.
- 2 - أن وقت وجوبها من غروب شمس اليوم الأخير من رمضان إلى صلاة العيد أما بعد الصلاة فهي قضاء.
- 3 - أن مصارف الزكاة هم: الفقراء والمساكين و المؤلفة قلوبهم و الأرقاء المكاتبون، والمدنيون في دين مباح، والمجاهدون في سبيل الله، والمسافرون المحتاجون في سفر مباح.
- 4 - أن الله شرع صرف الزكاة لأشخاص ليسوا بفقراء ولا مساكين لحكم وأهداف دينية واجتماعية ولمقاصد شرعية.

المناقشة:

- 1 - ما حكم زكاة الفطر؟ وما دليل وجوبها؟ وما وقت إخراجها؟
- 2 - ما مقدارها؟ ومن أي شيء تخرج؟
- 3 - اذكر الآية التي حددت مستحقي الزكاة.
- 4 - ما الحكمة من دفع الزكاة لمصرف قد يكون غنيا؟

الدرس السادس والأربعون الحج والعمرة وأركانها

المنطلق:

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (97) سورة آل عمران.

- قوله صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس ... وحج البيت) متفق عليه.
- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) متفق عليه.
- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «وَقَتَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْخَلِيقَةِ، وَلِأَهْلِ الشَّامِ الْجُحْفَةَ، وَلِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ الْمَنَازِلِ، وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلْمَلَمَ، فَهُنَّ لَهُنَّ، وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ لِمَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ، فَمَنْ كَانَ دُونَهُنَّ، فَمَهْلُهُ مِنْ أَهْلِهِ، وَكَذَلِكَ حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ يُهْلَوْنَ مِنْهَا» رواه البخاري.

التعليق:

1 - تعريف الحج والعمرة ومشروعيتهما:

أ - التعريف:

- الحج لغة القصد، وشرعا: عبادة مشتملة على إحرام وطواف بالبيت وسعي بين الصفا والمروة ووقوف بعرفة جزءا من ليل العاشر من ذي الحجة.
- العمرة وهي لغة الزيارة، واصطلاحا: إحرام وطواف بالبيت وسعي بين الصفا والمروة.

أما العمرة فهي سنة مؤكدة، فقد سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة أ واجبة هي؟ فقال: (لا، ولأن تعتمر خير لك) رواه الترمذي.

ج - حكمة مشروعيتهما:

- تطهير النفس من أدران الذنوب لما رواه أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) متفق عليه.
- التقاء المسلمين من جميع بقاع العالم في الحج في وقت واحد ومكان واحد وعلى هيئة واحدة مما يحقق الوحدة والتعارف والمساواة بينهم.

- إظهار الطاعة لله بامتنال أو امره، حيث يترك الحجاج أوطانهم، ويقاسون المتاعب في سبيل أداء ما أمرهم الله به من مناسك الحج.

- مشاهدة المواطن التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقى فيها الوحي من ربه عز وجل ويدعو الناس إلى عبادة الواحد الأحد، ويحارب مع أصحابه الشرك وأهله، مما يشجع المسلم على الاقتداء به صلى الله عليه وسلم وصحبه في تبليغ الدين.

- التذكير بيوم القيامة، فهذا التجمع العظيم - لاسيما الوقوف بعرفة - يذكر المسلم بيوم الحشر الذي ستقف فيه الخلائق بين يدي رب العزة للجزاء وللفضل بينهم.

2 - شروط الحج:

تنقسم شروط الحج إلى:

أ - شرط صحة، وهو الإسلام.

ب - شروط وجوب، وهي: البلوغ والعقل والاستطاعة، وتحقق الاستطاعة بثلاثة أمور هي:

ا - وجود المال الكافي ذهابا وإيابا.

ب - القوة البدنية.

ج - توفر الأمن على النفس والمال، ويزيد الأعمى بوجود قائد يقوده.

ويجب أداء الحج على الفور على من توفرت فيه شروط وجوبه، ويكون آثما إذا أخره حتى فقد أحد شروط أدائه، لما رواه علي-رضي الله عنه- من قوله صلى الله عليه وسلم (من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا) الترمذي.

وذلك أن الله يقول في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة آل عمران).

3 - أركانهما:

أ - للحج أربعة أركان هي: الإحرام والسعي والوقوف بعرفة وطواف الإفاضة.

ب - وللعمرة ثلاثة أركان هي: الإحرام والطواف والسعي، وتفصيل ذلك كما يلي:

- الإحرام وهو: نية الشروع في الحج أو العمرة، وله ميقتان:

• زمني ويبدأ من أول شوال إلى طلوع شمس يوم النحر، ويكره الإحرام قبل شوال، وميقات الإحرام للعمرة العام كله.

• مكاني، والمراد به المكان الذي يجب على الحاج أو المحرم أن يحرم منه، ويختلف باختلاف الأقطار ومواقعها الجغرافية، فمكة ميقات لأهل مكة، وذو الحليفة لأهل المدينة، والجحفة لأهل الشام ومصر والسودان وموريتانيا والمغرب...، ويلزم لأهل اليمن والهند وباكستان والصين، وقرن المنازل لأهل نجد، وذات عرق للعراق والكويت، وهذه المواقيت ميقات لمن مر بها من غير أهلها، ويجب الإحرام على الحاج والمعتزم إذا حاذى ميقاتا من هذه المواقيت سواء كان مسافرا برا أو بحرا

أو جوا.

- السعي: وهو المشي بين الصفا والمروة سبعة أشواط يبدأ بالصفا ويختم بالمروة، ويسن للرجل الصعود عليهما، وللمرأة إذا كان المكان خالياً، وإلا وقفت أسفلهما. ويشترط لصحة السعي أن يتقدم عليه طواف واجب سواء كان طواف قدوم أو طواف إفاضة.

- الوقوف بعرفة: وهو الاستقرار به ولو جزءا يسيرا من ليلة العيد، ولا يشترط له القيام بل يكفي الحضور، وتجب فيه الطمأنينة.

- طواف الإفاضة: وهو الدوران بالكعبة سبع مرات للتحلل من الحج، ويبدأ وقته من يوم النحر إلى نهاية شهر ذي الحجة، فإذا أخره الحاج عن وقته صح حجه ولزمه دم، ويشترط لصحة الطواف ما يلي: أن يطوف الحاج أو المعتمر بالكعبة سبع مرات متوالية، داخل المسجد، جاعلا الكعبة عن يساره، خارجا جميع بدنه عن حجر إبراهيم وعن الشاذروان، متطهرا من الحدث والخبث، وساترا عورة الصلاة.

وبطواف الإفاضة يتم التحلل الأكبر لمن كان سعي قبل، وإلا فلا يحصل التحلل إلا بالسعي، وبه يتم التحلل من كل ما منعه الإحرام.

استخلاص:

- 1 - أن الحج لغة القصد، وشرعا: عبادة ذات إحرام وطواف وسعي وحضور بعرفة ليلة العاشر من ذي الحجة، والعمرة لغة: الزيارة، واصطلاحا: إحرام وطواف وسعي.
- 2 - أن الحج واجب بالكتاب والسنة، وهو فرض مرة واحدة في العمر على المسلم العاقل البالغ المستطيع، أما العمرة فهي سنة مؤكدة، ووقتها جميع السنة، ويشترط لها ما يشترط للحج، ويتحلل منها بالسعي.
- 3 - أن الحج - مع كونه عبادة واجبة - عامل وحدة للمسلمين، حيث يلتقون في مؤتمر سنوي ويتبادلون الرأي والمنفعة الروحية والاقتصادية والاجتماعية.
- 4 - أن أركان الحج التي لا تجبر بالدم ويبطل الحج بفقد أو فساد ركن منها أربعة وهي: الإحرام وطواف الإفاضة والسعي بين الصفا والمروة والحضور بأرض عرفة ليل العاشر من ذي الحجة، وأن أركان العمرة ثلاثة هي: الإحرام والطواف والسعي.
- 5 - أن مواقيت الإحرام بالحج تنقسم إلى:

- زماني يبدأ من أول شوال، وينتهي قبل طلوع فجر يوم النحر.

- مكاني - ويختلف باختلاف الأقطار الإسلامية - وهو: مكة لأهل مكة وذو الحليفة لأهل المدينة، والجحفة لأهل الشام و مصر والسودان وموريتانيا والمغرب...، ويللم لليمن والهند وباكستان والصين، وقرن المنازل لأهل نجد، وذات عرق للعراق والكويت.

- 1 - عرف الحج والعمرة، وبين حكم كل منهما.
- 2 - ما ميقات كل من أهل المغرب وأهل نجد وأهل الشام؟
- 3 - ما الميقات الزماني للحج؟
- 4 - ما شروط صحة الطواف؟ ومتى يتحلل الحاج تحللاً كاملاً؟
- 5 - بين أركان الحج.

المعهد التزويدي الوطني

الدرس السابع والأربعون واجبات الحج ومبطلاته

المنطلق:

- حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه (لما انتهى إلى الجمرة الكبرى جعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ورمى الجمرة بسبع حصيات وقال هكذا رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة) أبو داود.
- حديث عائشة رضي الله عنها (طوافك بالبيت وسعيك بين الصفا والمروة يكفيك لحجك وعمرتك) رواه مسلم.
- حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل ما يلبس المحرم من الثياب قال: (لا يلبس القميص، ولا العمام ولا السراويلات...) متفق عليه.

التعليق:

I - واجبات الحج:

للحج واجبات تجبر بالدم، وهي قسمان:

أ - واجبات الأركان وهي:

- 1 - الإحرام من المكان المعين لكل حاج، فمن أحرم بعد تجاوز الميقات فعليه الدم.
 - 2 - تجرد الرجل من المخيط والمحيط، وكشفه عن رأسه.
 - 3 - التلبية من أول الإحرام، وتجدد كلما تجددت حال المحرم، وعند كل صعود وهبوط وملاقاة للرفاق، وعند الاستيقاظ من النوم، وخلف الصلوات، ولفظها: «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».
 - 4 - المشي في الطواف والسعي راجلا إذا لم يشق عليه كثيرا.
 - 5 - طواف القدوم إذا لم يكن هناك عذر كالحيض مثلا.
 - 6 - البدء بالحجر الأسود عند الطواف.
 - 7 - صلاة ركعتين خلف مقام إبراهيم بعد انتهاء الطواف إن كان طوافا واجبا.
 - 8 - وصل السعي بين الصفا والمروة بطواف واجب.
 - 9 - وصل أشواط السعي.
 - 10 - الوقوف بعرفة نهارا بعد الزوال إذا لم يكن هناك عذر.
- ب - واجبات عامة، وأهمها:

- 1 - النزول بالمزدلفة ليلا بعد الرجوع من عرفة.
- 2 - تقديم رمي جمرة العقبة يوم النحر على الحلق وطواف الإفاضة.
- 3 - المبيت بمنى ثلاث ليال بعد طواف الإفاضة، وهي ليلة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، لمن لم يتعجل وليأتين لمن تعجل، ويلزم الدم من ترك المبيت ليلة واحدة أو جلها.
- 4 - رمي كل جمرة بسبع حصيات في أيام التشريق الثلاثة بعد يوم النحر، ووقته من زوال الشمس إلى الغروب.
- 5 - الحلق أو التقصير بالنسبة للرجال، والتقصير بالنسبة للنساء.
- 6 - عدم تأخير طواف الإفاضة أو السعي أو هما معا إلى شهر محرم.

II - مبطلاته :

يفسد الحج والعمرة بالجماع مطلقا، وبتعمد إخراج منى، ومحل الإفساد إذا وقع ما ذكر بعد الإحرام، وقبل الرمي وطواف الإفاضة، وحيث فسد الحج وجب التماضي فيه حتى يكتمل، ويجب قضاؤه على الفور في العام القابل سواء كان الفاسد فرضاً أو تطوعاً وعليه إهداء بدنة .

استخلاص:

- 1 - أن واجبات الحج تنقسم إلى واجبات أركان وواجبات عامة.
 - أ - واجبات الأركان هي: الإحرام من الميقات المكاني، تجرد الرجل من المخيط والمحيط، وكشف رأسه، والتلبية، ووصلها بالإحرام، والمشي في السعي إن لم يشق على الحاج كثيرا وطواف القدوم للقادر عليه وركعتان بعد انتهاء الطواف خلف مقام إبراهيم، والوقوف بعرفة نهارا والطمأنينة به وقتا ولو يسيرا.
 - ب - الواجبات العامة، وأهمها: النزول بالمزدلفة ليلا وتقديم رمي جمرة العقبة يوم النحر على الحلق وطواف الإفاضة، والمبيت بمنى ثلاث ليال بعد طواف الإفاضة، وهي ليلة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر بعد يوم النحر ورمي كل الجمار في أيام التشريق والحلق والتقصير.
- 2 - أن الحج والعمرة يبطلان بالجماع مطلقا وبتعمد إخراج منى، ويتمادي من فسد حجه حتى يكمله، ويقضيه في العام القابل وجوبا، سواء كان الفاسد فرض أو تطوعا.

المناقشة:

- 1 - بين الفرق بين الواجبات التي تجبر بالدم والتي لا تجبر به.
- 2 - وضع حكم من تجاوز ميقاته ولم يحرم منه.
- 3 - حدد أركان الحج.
- 4 - عدد مبطلاته.

الدرس الثامن والأربعون الأعياد الإسلامية

منطلق:

- قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ وَأُجِّلَتْ لَكُمْ أَلَانَعْمُ إِلَّا مَا يَتَّبِعُ عَلَيْكُمْ فَاJتَكِنُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ سورة الحج. 30
- حديث أنس رضي الله عنه: أنه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: (قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر) أخرجه أبو داود والنسائي.

شرح الكلمات والعبارات:

حُرْمَتِ اللَّهِ : مناسكه.

وَاجْتَنِبُوا : لا تقربوا.

الرِّجْسَ : الأوثان.

الزُّور : الافتراء.

التعليق:

الأعياد جمع عيد، والعيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، والأعياد الإسلامية مناسبات دينية تتخلل السنة القمرية طاعة لله واتباعا لسنة نبيه وتفاؤلا بتكراره، وللمسلمين عيدان في السنة هما:

- عيد الفطر، وهو أول يوم من شهر شوال احتفالاً وابتهاجا بكمال شهر رمضان، وانتصارهم على شهوات النفس ومغريات الشيطان فيشكرون الله على ذلك بإخراج زكاة الفطر لسد خلة المحتاجين، ويؤدون صلاة العيد في أعلى مظاهر الفرح والزينة، اعترافا بفضل الله عليهم وإظهارا للعبودية له.

- عيد الأضحى، وهو اليوم العاشر من ذي الحجة احتفالاً بكمال الحج وإكمال المسلم أركان الإسلام، فيخرجون في أبهى حللهم لصلاة العيد، ويذبحون الأضاحي إحياء لسنة أبينا إبراهيم عليه السلام.

فيحتفل المسلمون في جميع أنحاء العالم بهاتين المناسبتين استنانا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وإظهارا لوحدة المسلمين في الزمان حيثما كانوا بمقتضى رابطتهم الدينية واتباعا لسنة رسولنا صلى الله عليه وسلم.

أما الثاني عشر من ربيع الأول ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم فليس عيداً مثل العيدين السابقين ، لكنه ذكرى وللذكرى محلها في القلب وأثرها في الفعل فهي ذكرى لإحياء سنته صلى الله عليه وسلم بإظهار الأخوة الإيمانية والتسامح.

* الاحتفال بالأعياد الإسلامية وتعظيمهما:

جعل الله تعظيم شعائره من تقوى القلوب، وسن نبيه صلى الله عليه وسلم الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى شكراً لله على هدايته وتوفيقه، ونعمه التي لا تحصى، ويكون ذلك بالعبادة وإظهار السرور والتوسعة على العيال ولبس حسن الثياب والتطيب والتزام السكينة والوقار، لا بالمخالفات من تبيذير، وإسراف وإتيان للمحرمات.

وسن الاجتماع لها لأن اجتماع المسلمين فيه من قيام الألفة والمودة مالا يخفى، ولأن الاجتماع الظاهر عنوان الاجتماع الباطن، فتفكيرهم في مصالحهم، والسعي في سبيل تحقيقها، وتعليم بعضهم بعضاً، وتعلم بعضهم من بعض لا يحصل إلا بذلك.

وقد حج النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد فرض الحج مرة واحدة وحج معه المسلمون وقال: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»، فانصرف الناس أخذين عن نبيهم - صلى الله عليه وسلم - أحكام الحج الكلية والتفصيلية والتعليم العملي أبلغ من التعليم القولي، والجمع بينهما أكمل.

وهناك مناسبات دينية أكثر الناس القول فيها، ووقع فيها الإفراط والتفريط، وإذا نظرنا إلى شريعة الإسلام؛ نجد أعياداً دينية أخذت مشروعاتها من الكتاب والسنة كالفطر والأضحى والجمعة فهو عيد الأسبوع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ» أخرجه مسلم.

وقد عني به الإسلام فسن القراءة في صلاة الصبح بسورة السجدة وسورة الإنسان معاً في يوم الجمعة لمناسبة خلق آدم في يوم الجمعة ليتذكر الإنسان في هذا اليوم مبدأ خلق أبيه آدم، ومبدأ خلق عموم الإنس، ويتذكر مصيره ومنتهاه ليرى ما هو عليه من دعوة الرسول وهل هو شاكر أو كفور؟، وفي الحفاوة بها من اغتسال وطيب وتبكير إلى المسجد يومها، والتزين بلبس الثياب الجميلة والجديدة، وأفضلها البياض، لقوله صلى الله عليه وسلم: (البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم) رواه أحمد في المسند، ولما في ذلك من إظهار نعمة الله تعالى على عبده التي يحب أن يرى أثرها عليه، ولذا لا ينبغي ترك إظهار الزينة والتطيب في الأعياد مع القدرة عليه، فقد ورد أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.

ولكن من غير غلو ولا إفراط فقد جاء النهي عن صوم يومها وحده دون أن يسبق بصوم قبله أو يلحق بصوم بعده كما نهى عن أفراد ليلتها بقيام، والنصوص في ذلك متضافرة ثابتة معلومة.

وذلك أن يوم الجمعة هو يوم آدم عليه السلام، فيه خلق، وفيه أسكن الجنة، وفيه أهبط

إلى الأرض، وفيه تيبّ عليه، وفيه تقوم الساعة.

وهي مناسبات معتبرة لما فيها من عظة وذكرى تتجدد مع تجدد الأيام وتعود على الفرد والجماعة بالتزود منها عمليا بتحصيل الثواب وروحيا بتذكر يوم الحساب. ومن المناسبات الدينية يوم عاشوراء فهو يوم نجى الله فيه موسى من فرعون فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه، وغلا فيه الشيعة فشرعوا فيه لأنفسهم ما لم يأذن به الله، فهذه كلها مناسبات شرعية لتلمس مواطن الخيرات وتعرض للنفحات الربانية والبركات بالدعاء والعمل الصالح.

وأما الاحتفال بأعياد الكفار وإظهار الفرح والسرور فيها وتقليدهم في مناسباتهم الاجتماعية فممنوع شرعا لأنه من الميل لهم وموالاتهم كالاحتفال بعيد الميلاد ورأس السنة الميلادية.

استخلاص:

- 1 - أن الله شرع للمسلمين عيدين في السنة الاحتفال بهما من شعائر الإسلام، وتعظيمهما يكون بشكر الله وفعل الطاعات وترك المنهيات، والجمعة وهي عيد الأسبوع.
- 2- أن هناك مناسبات دينية مواسم للخيرات وتنزل الرحمات ومضاعفة الأجر على المسلم أن لا يفوتها كساعة الجمعة ورمضان وليلة القدر.
- 3- أن الاحتفال في الأعياد الدينية شكر لنعم الله يجب أن يكون موافقا للشرع لا معصية فيه ولا تبذير ولا إسراف.
- 4- حرمة تقليد اليهود والنصارى في أعيادهم ومناسباتهم الدينية والاجتماعية والتشبه بأخلاقهم.

المناقشة:

- 1- ما المقصود بالأعياد الإسلامية؟ وكيف يكون الاحتفال بها شرعا؟
- 2- ما الفرق بين الذكرى والعيد في الإسلام؟
- 3- ما المقصود بالمناسبات الدينية التي هي مواسم خيرات؟
- 4- هل يجوز للمسلم تقليد غير المسلمين في مناسباتهم وأعيادهم؟

الدرس التاسع والأربعون الأضحية والوليمة والعقيقة

المنطلق:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ سورة الكوثر.
- وعن أنس-رضي الله عنه-(ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر) البخاري ومسلم.
- قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف لما أخبره أنه تزوج امرأة (أولم ولو بشاة) متفق عليه.
- وعن عائشة- رضي الله عنها - قالت : (أمر صلى الله عليه وسلم أن يعق عن الغلام شاتان متكافئتان، وعن الجارية شاة) رواه الترمذي.

شرح الكلمات والعبارات:

- | | |
|-----------------------------|----------------------------------|
| الْكَوْثَرُ | : نهر في الجنة. |
| فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ | : تقرب إلى الله واذبح يوم النحر. |
| أملحين | : يخالط بياضهما سواد. |
| أقرنين | : لهما قرون. |
| أولم | : اصنع وليمة. |

التعليق:

أولاً: الأضحية

أ - تعريفها:

الأضحية والضحية: اسم لما يذكي من الغنم والبقر والإبل يوم النحر أو أيام التشريق طاعة لله تعالى.

ب - حكمها وشروطها:

- حكمها:

هي سنة مؤكدة رغب فيها الشارع وطلبها من كل مسلم لا تجحف به، ويضحى عن الصغير وليه، وتكفي أهل الرجل أضحيته إذا نوى ذلك، لما في حديث أبي أيوب

الأنصاري رضي الله عنه (كان الرجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحي بالشاة عنه وعن أهل بيته) الترمذي وصححه.

ويجوز جمع أفراد في شاة واحدة، أي إشراكهم في الأجر دون الاشتراك في ثمنها، والسنة أن يأكل المضحي من أضحيته ويتصدق ويدخر، دون أن يبيع منها شيئاً، ويندب لكل من ينوي الأضحية:

- أن لا يأخذ من شعره أو أظافره بعد هلال ذي الحجة حتى يذبح أضحيته.
- أن يمسك عن الأكل والشرب يوم العيد حتى يأكل من أضحيته.

شروطها:

يشترط في الأضحية إسلام ذابحها وسلامتها من العيوب كالمرض البين، والعور، والعمى، والعجف: (الهزال الشديد) لقوله صلى الله عليه وسلم: (أربعة لا تجزئ في الأضاحي: العوراء البين عورها والمريضة البين مرضها والعرجاء البين ظلعهما والعجفاء التي لا تنقي) الترمذي.

وكذا الكسر، والهرم، وقطع أكثر من ثلث الأذن أو الذيل، ويشترط في سنها دخول شاة الضأن في السنة الثانية ولو بيوم، وفي المعز الدخول البين، وفي البقر الدخول في السنة الرابعة، وفي الإبل الدخول في السنة السادسة.

والأفضل في الأضحية الضأن ثم المعز، ثم البقر، ثم الإبل، والذكر أفضل من الأنثى، والفحل أفضل من الخصي إلا إذا كان الخصي أسمن.

ج - وقتها والحكمة منها:

- وقتها:

ويكون بعد انتهاء الصلاة والخطبة وبعد ذبح الإمام أضحيته- إن جلبها إلى المصلى-، فمن ذبح قبل الصلاة لم تجزه، ولزمته أضحية أخرى بدلها لقوله صلى الله عليه وسلم: (من كان ذبح قبل الصلاة فليعد) متفق عليه.

ويستمر وقتها إلى غروب شمس اليوم الثالث من أيام النحر، ولا تجزئ بعده، كما لا تجزئ ليلاً.

- الحكمة منها:

من حكم مشروعية الأضحية:

- التقرب إلى الله.
- إحياء سنة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.
- التوسعة على العيال والفقراء والجيران.
- شكر الله على ما أعطى من نعمه.
- ثانياً: الوليمة
- أ - تعريفها: تطلق الوليمة على كل طعام يعد للسرور بمناسبة اجتماعية ويدعى إليه

الناس، أما وليمة النكاح فهي الطعام الذي يعد بمناسبة الزواج.

- ب - حكمها: الندب، وقيل واجبة، والأرجح أنها عند الدخول، وهي على الرجل، وليست على المرأة، ولا على أهلها ما لم يتطوعوا بها، وتكون حسب يسر وعسر الزوج، ويحرم فيها وفي غيرها الإسراف والتبذير لما رواه أنس بن مالك -رضي الله عنه- (ما أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما أولم على زينب أولم بشاة) متفق عليه.

- ويجب على من دُعي إلى وليمة النكاح أن يحضرها إذا خلت من محرم شرعا كاختلاط الرجال والنساء غير المحارم، أو حضور متبرجات، أو غناء محرم، ولا يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء لما روى أبو هريرة (بئس الطعام طعام الوليمة يدعى لها الأغنياء، ويترك الفقراء) رواه البخاري ومسلم.

ثالثاً: العقيقة

أ - تعريفها: وهي ما يذبح من النعم للمولود سابع يوم ولادته.

ب - حكمها:

- العقيقة سنة مؤكدة، فعن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم (كل مولود رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى، ويحلق رأسه) أبو داود والنسائي.
- فيسمى الوليد يومها، ويختار له أحسن الأسماء، ويندب حلق رأسه، والتصدق بزنة شعره ذهباً أو فضة، ويستحب لذوي المولود أن يأكلوا من العقيقة، ويتصدقوا ويهدوا.
- ولا يجمع لها الناس، ولا تقام فيها الولائم، والاحتفالات ولا يقع فيها الإسراف والتبذير.
- ج - شروطها ووقت ذبحها:
- يشترط في العقيقة ما يشترط في الأضحية من السن والسلامة من العيوب...
- ويندب أن يعق عن الذكر بشاتين، والأنثى بواحدة.
- وقتها: ويبدأ من صباح اليوم السابع للمولود إلى غروب شمس، ولا تجزئ ليلاً، والأفضل ذبحها ضحى، وتتعدد العقيقة بتعدد المولود.

استخلاص:

- 1 - أن الأضحية عبادة لها شروط لا تجزئ بدونها، ومستحبات ينبغي أن تتوفر فيها، وأنه من الحكم منها: التقرب إلى الله، وإحياء سنة أبينا إبراهيم عليه السلام والتوسعة وشكر نعم الله.
- 2 - أن الوليمة مطلوبة من الزوج شرعا حسب حاله وماله، ويجب أن تخضع للمعايير الشرعية بعيداً عن الإسراف والتبذير والاختلاط.
- 3 - أن العقيقة عن المولود مأمور بها شرعا، ويشترط فيها ما يشترط في الأضحية ويلزم فيها - وفي غيرها - الابتعاد عن المحرمات والمخالفات الشرعية.

- 1 - ما حكم الأضحية؟ وما شروطها؟
- 2 - ما حكم وليمة النكاح؟ وعلى من تجب أو تسن؟
- 3 - عرف العقيقة واذكر وقتها وتاريخها وشروطها.

المعهد التزويدي الوطني

الأطعمة

الدرس الخمسون

المنطلق:

- قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمِ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أَوْ أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (145) سورة الأنعام.

- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَى مَحْكُومٍ وَنُحْلٍ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (157) سورة الأعراف.

- وعن علي-رضي الله عنه-(نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لحوم الحمر الأهلية...) متفق عليه.

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنه-(نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجلالة وألبانها) أبو داود والنسائي.

شرح الكلمات والعبارات:

دَمًا مَسْفُوحًا	: سائلا خارجا من محل الذكاة أو الجرح.
رَجَسٌ	: نجسٌ خبيثٌ مستقذرٌ.
فِسْقًا	: انحرافاً وخروجاً عن الطريق.
أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ	: ذُبِحَ تعظيماً لغير الله.
اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ	: دفعته الضرورة غير معتد ولا متجاوز للحد.
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ	: يضع عنهم الثقل والشدة والمشقة.
وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ	: القيود والأثقال أو التكاليف الشاقة.

التعليق:

1 - الأطعمة:

أ - تعريفها: الأطعمة جمع طعام وهو كل ما يأكله الإنسان ويتغذى به من مأكول

ومشروب.

ب - أقسامها باعتبار حكمها: تنقسم الأطعمة من مأكولات ومشروبات إلى طيبات مباحة وخبائث محرمة.

أولاً: الطيبات

وهي أصناف كثيرة منها:

- الحبوب والثمار والفواكه والخضروات والبقول وكل ما ينبت في الأرض مما ليست فيه مضرة معتبرة شرعاً.

الأنعام ومنتجاتها من ألبان ولحوم.

• الوحوش غير المفترسة كالغزلان والنعام والزراف والأبقار الوحشية والأرانب.

• الحيوانات البحرية حية كانت أو ميتة.

• الطيور غير المفترسة بجميع أشكالها وأصنافها دواجن كانت أو متوحشة.

ثانياً: الخبائث

وهي ما ورد النص بتحريمه، فالله لا يحرم على عباده إلا ما فيه ضرر أو مفسدة، ظهرت لهم أم خفيت عليهم.

وتنقسم الخبائث المحرمة إلى:

أ - الميتة: وهي ما مات بدون ذكاة من الحيوان الذي تشترط الذكاة لأكله، أو ذكي ذكاة غير شرعية، إما بسبب الآلة المستخدمة لذكاته كالصعق الكهربائي أو لكون مذكاه مشركاً أو غير مميز، وإما للقصد من تذكيته كالذي يذبح تعظيماً لغير الله.

ب - الدم المسفوح: وهو السائل من مكان الذكاة، وكذلك السائل من غير المذكي، فهو نجس مسفوحاً كان أو غير مسفوح، وكذا لبن الميتة، وألبان ما لا يؤكل لحمه فهي نجسة، باستثناء لبن الأدمية الحية فهو طاهر اتفاقاً، وبعد موتها عند الجمهور.

ج - الخنازير والحمير الأهلية لحماً وشحماً وأجزاء ومشتقات.

د - النجاسات مطلقاً والمتنجسات من السوائل، فإن كانت غير سوائل، فإنه ينزع القذر ومكانه ويبقى الباقي طاهراً لما روته أم المؤمنين ميمونة- رضي الله عنها- أنه صلى الله عليه وسلم قال في الفأرة تقع في السمن: (إذا كان جامداً فألقوها وما حولها، وكلوا الباقي، وإن كان ذائباً فلا تقربوه) أبو داود.

هـ - كل ما يشكل خطراً على الصحة جسمية كانت أو عقلية كالسموم بمختلف أنواعها ومصادرها، والخبز والكحول، والمخدرات، فهذه الأمور فضلاً عن تحريمها شرعاً فإنها مضرة بعقل الإنسان ومعول هدم للمجتمعات.

ثالثاً: المكروهات

من الأمور المنهي عنها كراهة عند بعض وتحريماً عند بعض آخر الحيوانات والطيور المفترسة:

- ويدخل في الحيوانات المفترسة جميع أنواع السباع، كالأسد والنمر، والذئب، والكلب والثعلب، والسنور، وغيرها من كل ذي ناب.

- ويدخل في الطيور: الصقر والنسر، وغيرها من كل ذي مخلب، وذلك لما رواه الحسن بن علي- رضي الله عنهما-: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطيور) مسلم.

فالأحوط ترك كل مشكوك في إباحته واجتنابه لما في الحديث: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) الترمذي والنسائي.

- الجلالة وهي: ما يأكل النجاسة - دائما أو غالبا - من بهيمة الأنعام والطيور، فلا يؤكل لحمها ولا يشرب لبنها قبل انقطاعها فترة عن أكل النجاسات.

رابعاً: المعفوات في حال الضرورة

الإسلام دين رحمة وتيسير وسماحة يبيح للمضطر إن خاف تلف نفسه وهلاكها بسبب الجوع أن يتناول من المحظورات غير القاتلة - إن لم يجد سواها - ما يحفظ به حياته سواء كان طعاما لغيره أو ميتة أو غير ذلك بشرط أن لا يزيد على القدر الذي يحفظ به نفسه من الهلاك، فالضرورات تقدر بقدرها، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الأنعام: 145).

ومن هذا الباب الترخيص في الخمر لإزالة غصة أو نحوها لمن لم يجد سواها من السوائل.

استخلاص:

1 - أن الله أنعم على عباده بإباحة الطيبات لهم، وأمرهم بالاقتصاد في الأكل والشرب خوفا من التبذير والإسراف وربما الإصابة بالأمراض والأوجاع.

2 - أن الأطعمة تنقسم إلى طيبات مباحة وخبائث محرمة، وأن الطيبات أصناف منها: الحبوب - الثمار - البقول - الحيوانات البحرية والأنعام والطيور والوحوش غير المفترسة.

أما الخبائث المحرمة، فمنها: الميتة والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما لم يذكر اسم الله عليه، أو ذبح لغير الله، والنجاسات، والمنتجسات بشروط، وكل ما يشكل خطرا على الصحة كالسموم، والخمر والمخدرات، وغير ذلك من الخبائث.

3 - أن من مكروهات الأكل كل ذي ناب من السباع أو مخلب من الطير، وأن الأحوط ترك المنهيات ولو على غير وجه التحريم، وترك الشبهات واجتنابها خشية الوقوع في المحرمات.

4 - أن الشرع لسماحته يبيح للمسلم استعمال المحظورات عند الضرورة إليها لسد رمقه شريطة أن تقدر الضرورة بقدرها، وأن لا يتجاوز فيها المضطر حد إزالة الضرر.

- 1 - ما أنواع الطيبات؟
- 2 - ما أصناف المحرمات؟
- 3 - اذكر ثلاثة أمثلة للطيبات، وأربعة للخبائث.
- 4 - ما الحكمة من تحريم الشرع للخمر والمخدرات؟
- 5 - ما الأصناف المكروهة؟ ومتى يباح تناول المحرمات؟

المعهد التزويدي الوطني

الدرس الحادي والخمسون الذكاة والصيد

المنطلق:

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْنُقُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَسُ الذِّينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ سورة المائدة.

- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَاْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ إِسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجْنِدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ سورة الأنعام.

- ما رواه رافع بن خديج من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل ليس السن والظفر) متفق عليه.

- قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ يَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا إِسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ ﴿٥﴾﴾ سورة المائدة.

شرح الكلمات والعبارات:

- أنهرَ الدم : أسأله.
الْجَوَارِح : الكلاب والطيور.
مُكَلِّينَ : معلِّمين للكلاب أو غيرها.
وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ : ما ذكَّوه من ذبائحهم.

التعليق:

أولاً: الذكاة

أ - تعريفها: الذكاة هي قطع المسلم أو الكتابي المميزين الحلقوم والودجين والمريء من الحيوان البري أو نحره أو عقره بنية الذكاة.

ب - حكمها:

الذكاة واجبة لحلية أكل الحيوان البري المباح الأكل.

ج - أنواعها:

الذكاة ثلاثة أنواع:

وهي الذبح والنحر والعقر وقد جمعها الناظم بقوله:

ذبح ونحر ثم عقر ما يُمات به الجراد تلك أوجه الذكاة

- الذبح وهو قطع الحلقوم والمريء والودجين خلف الجوزة من مقدم رقبة الحيوان دون رفع لآلة الذبح قبل إتمامه، وهو ذكاة البقر والأغنام وسائر الطيور والوحوش ما عدا الزرافة.

- النحر: وهو الطعن في اللبة وهي النقرة التي في أسفل العنق (محل القلادة)، ويكون في الإبل والزرافة وفي البقر.

- العقر: ومعناه الجرح، وهو الذكاة الشرعية للصيد الذي لا يمكن أخذه حتى يذكى...
قتل ما لا دم له: فما لا دم له كالجراد، فذكاته قتله بأي وسيلة بنية الذكاة.

د - شروطها:

يشترط في الذكاة:

- أن تكون الآلة حادة تنهر الدم.

- أن يذكر المذكي اسم الله.

- أن ينوي بالذكاة حلية أكل الحيوان.

- أن لا يرفع يده حتى يتم الذكاة.

- أن تكون بالمذكي حياة وقت التذكية.

- أن لا يكون منفوذ المقاتل.

هـ - مندوباتها:

- يندب توجيه المذكي جهة القبلة.

- كون آلة الذكاة حادة.

- الإجهاز على المذكي وإراحته لحديث شداد بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليُرح ذبيحته) رواه مسلم.

ملاحظة:

- ذكاة الجنين ذكاة أمه.
- لا فرق في الحلية بين ذكاة الرجل وذكاة المرأة.

ثانياً: الصيد

الصيد قسمان:

- أ - بحري ولا يحتاج إلى ذكاة لقوله صلى الله عليه وسلم في البحر: (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) أبو داود والترمذي والنسائي.
- ب - بري: وهو الذي لا تمكن القدرة عليه لذكاته، لذلك رخص الشرع في ذكاته بجرحه بمحدد كالسهم أو البندقية أو نحو ذلك أو بحيوان مدرب على الاصطياد كالكلاب والطيور المعلمة بشروط هي:
 - أن يكون المعقور حيواناً وحشياً لا نعماً ولو لم يقدر على أخذه.
 - أن ينوي الصائد الذكاة.
 - أن يذكر اسم الله عند الرمي أو عند إرسال الجارح.
 - أن يكون الصائد مسلماً مميزاً، بخلاف الكتابي فلا يؤكل صيده.
 - أن يكون الجارح معلماً مطيعاً وهو الذي إذا أرسل اندفع وإذا استرجع رجع فوراً.
 - أن لا يأكل من الصيد إذا أمسكه حتى يحضر معلمه، فإن أكل منه لم يجز أكله.
 - أن لا يشترك معه غيره في الصيد.
 - أن لا يأخذ غير ما أرسل عليه.

استخلاص:

- 1 - أن الذكاة الشرعية قطع المسلم أو الكتابي المميزين الحلقوم والودجين من الحيوان البري أو نحره أو جرحه بسلاح أو بحيوان مدرب على الصيد بنية الذكاة.
- 2 - أن الحيوان البري لا يجوز أكله إلا بعد الذكاة الشرعية، أما الحيوان البحري فلا يحتاج إلى ذكاة.
- 3 - أن من أنواع الذكاة الذبح، والنحر، والعقر، وهو الجرح بالآلة، أو بالحيوان المعلم.
- 4 - أنه يشترط لصحة الذكاة النية، وذكر اسم الله على المذكي، وإنهار الدم بآلة حادة، غير سن ولا ظفر.
- 5 - أن الذكاة لا تفيد إلا فيما يجوز أكله.

المناقشة:

- 1 - بم تكون الذكاة؟ وما الفرق بين الذبح والنحر والعقر؟
- 2 - بين الشروط المطلوبة في المذكي.
- 3 - أنت بحديث يدل على الإحسان في الذكاة.
- 4 - ما شروط أكل صيد الحيوان المدرب على الصيد؟

الدرس الثاني والخمسون الكفارات في الإسلام

المنطلق:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَحَرِّرْ رَقَبَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ سورة المجادلة.

- حديث أبي هريرة (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هلكت يا رسول الله، قال: وما أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتي في رمضان فقال: هل تجد ما تعتق رقبة قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قل: لا، قال: فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا قال: لا...) متفق عليه.

شرح الكلمات والعبارات:

يَظَاهَرُونَ : بأن يقول أحدهم لزوجته (أنت علي كأمي) في الحرمة.
ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا : بأن يخالفوه بإرادة العودة إلى الزوجية، فعليهم الكفارة .

التعليق:

أ - تعريفها: الكفارة لغة صيغة مبالغة من الكفر وهو الستر.
وشرعا: هي الأعمال التي تكفر بعض الذنوب وتستترها حتى لا يكون لها أثر يؤاخذ به في الدنيا ولا في الآخرة، وقد بين الشرع أنواع الكفارات وحدد مقاديرها، وجعلها على الترتيب تارة وعلى التخيير تارة، وتارة تجمع بينهما.
ب - أهم الأمور التي تجب فيها الكفارة: موجبات الكفارة متعددة ونفصل الكلام على أربع متميزة منها وهي: (إفساد الصوم والحنث في اليمين والظهار والقتل الخطأ) فيما يلي:

أولا- إفساد الصوم: فإذا تعمد الصائم الإفطار في نهار رمضان بأي من المفطرات، وجبت عليه الكفارة بإحدى ثلاث وهي:

- 1 - إطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد بمدّه صلى الله عليه وسلم.
- 2 - صيام شهرين متتابعين.
- 3 - عتق رقبة مؤمنة.

ثانيا- الحنث في اليمين: فإذا حنث الحالف بالله في اليمين المنعقدة وجبت عليه الكفارة، وهي على التخيير بين ثلاثة أمور:

- 1 - إطعام عشرة مساكين لكل مسكين مد.
- 2 - كسوة عشرة مساكين كسوة متوسطة بحسب حال البلد وبما يستتر في الصلاة.
- 3 - تحرير رقبة مؤمنة.

فإن عجز الحالف عن هذه الأمور الثلاثة فإنه يصوم ثلاثة أيام، ويندب له تتابعها، قال تعالى: (...فَكَفَّرَتْهُٓ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾) سورة المائدة.

ثالثا: طلب النكاح بعد الظهار الظهار عادة جاهلية حرمها الإسلام وهي:

أن يشبه الرجل زوجته بأمه، كأن يقول لها: (أنت على كظهر أمي) أو ما شابه ذلك فيحرم عليه التمتع بها بعد ظهاره منها قبل أن يكفر، لما في الآية الثالثة من سورة المجادلة، فكفارة الظهار إذا على الترتيب بين أمور ثلاثة لا يجزئ المتأخر منها قبل العجز عن سابقه، وهي:

- 1 - تحرير رقبة مؤمنة.
- 2 - صيام شهرين متتابعين، إذا أفطر الصائم في أثنائهما بطل ما سبق من صومه.
- 3 - إطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد.

رابعاً: القتل خطأ فلا يتصور أن يقدم المسلم على قتل أخيه عمداً، ومن كتب الله عليه أن قتل أخاه خطأ فكفارة ذلك أن يعتق رقبة مؤمنة، فمن لم يجدها صام شهرين متتابعين.

وتتحمل العاقلة دية القتل قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ سورة النساء، وكذلك تندب الكفارة في القتل العمد الذي لم يقتص فيه لسبب ما.

ج - الحكمة من الكفارة: وضع الإسلام نظاماً لمحاربة الدوافع التي قد تقود الإنسان إلى ارتكاب المخالفات الشرعية، يتضمن الزجر عن الإقدام عليها أصلاً وتكفير إثم ما ارتكب منها في الماضي، وهذا هو نظام الكفارات، ونرى بعض مظاهر الحكمة منها فيما يلي:

- 1 - ترويض النفس البشرية روحياً إثر ارتكابها المخالفة، وذلك بحملها على ممارسة العبادة المستمرة التي تقرها الكفارة من صوم يستمر شهرين متتابعين، في أغلب الكفارات.
- 2 - تعويد النفس على البذل في أوجه الخير كما هو الحال في الإطعام والكسوة والعتق.

- 3 - تشجيع العتق وتخليص الأرقاء من ذل العبودية، حيث أقر الإسلام عتق الرقبة في جميع الكفارات.
- 4 - انتفاع الفقراء والمساكين ممن تعدى الحد في شرع الله، فينالون ما حدد لهم الشرع من مطعم وكسوة من ماله.
- 5 - إئثار كاهل المكفر بالتكاليف المالية مما يردعه ويردع غيره عن ارتكاب ما يؤدي إلى مثل ذلك من مخالفات.

استخلاص:

- 1 - الكفارة هي الأعمال التي تكفر بعض الذنوب، أي تسترّها في الدنيا والآخرة. وقد بين الشرع أنواعها وحدد مقاديرها.
- 2 - موجبات الكفارة كثيرة، وأهمها أربع هي (كفارة الصوم وكفارة الحنث في اليمين وكفارة الظهار وكفارة القتل).
- 3 - تدور الكفارات بين العتق والصوم والإطعام والكسوة، بعضها على التخيير، وبعضها على الترتيب وقد تجمع بينهما.
- 4 - الكفارات نظام إسلامي يحارب الدوافع التي قد تجر النفس إلى ارتكاب بعض المخالفات، بالإضافة إلى تكفير الذنب الذي نجم عن المعصية التي وجبت فيها الكفارة.
- 5 - مظاهر الحكمة من الكفارة كثيرة من أبرزها:
 - أ - ترويض النفس البشرية عن طريق العبادة.
 - ب - تعويدها على البذل والعطاء في أوجه البر.
 - ج - تشجيع العتق، فقد جعل الشارع عتق الرقبة المؤمنة من الكفارات.
 - د - انتفاع الفقراء مما يخرج في الكفارات من صدقات.
 - هـ - إئثار كاهل المكفر بالتكاليف المالية وإرهاق بدنه بالصيام، مما يردع الناس عن ارتكاب المخالفات التي تجر إلى الكفارات.

المناقشة:

- 1 - عرف الكفارة لغة واصطلاحاً، وبين دليلها.
- 2 - ما ذا تعرف من المعاصي التي يحكم فيها بالكفارة؟
- 3 - ما كفارة القتل الخطأ؟ وما دليلها؟
- 4 - ما المخالفات التي وردت كفارتها على التخيير؟
- 5 - الكفارات ردع للمخالفين، وضح ذلك؟
- 6 - بم تعود الكفارة على الفرد والمجتمع؟
- 7 - كيف تكون الكفارة زاداً روحياً لصاحبها؟

الدرس الثالث والخمسون الجهاد أقسامه وفضله

المصنف:

- قال تعالى: ﴿إِذِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (39) سورة الحج.
- قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (29) سورة التوبة.

- قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ إِنَّهُمْ فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (193) سورة البقرة.

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل» متفق عليه.

شرح الكلمات والعبارات:

صَاغِرُونَ : أذلاء منقادون لحكم الإسلام.
فِتْنَةٌ : شرك وكفر.
عصموا مني دماءهم وأموالهم : حفظوها.

التعليق:

أ - تعريف الجهاد:

الجهاد لغة مأخوذ من الجهد وهو التعب والمشقة.

وشرعا: هو قتال المسلمين للكفار غير المعاهدين قصد إعلاء كلمة الله تعالى، فالجهاد من أجل الغنيمة أو لإظهار الشجاعة ونحوهما ليس جهادا في سبيل الله.

ب - حكمه: الجهاد واجب لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (216) سورة البقرة، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (91) سورة التوبة. ويكون فرض عين في الحالات التالية:

1 - فك الأسرى: فإذا أسر الكفار بعض المسلمين تعين على المسلمين القتال من أجل تخليص أسراهم من أيدي الكفار.

2 - النذر: فإذا نذر شخص أن يقاتل الكفار في سبيل الله تعين عليه ذلك.

3 - استنفار الإمام: فإذا عين الإمام شخصا أو أكثر لقتال العدو تعين على من عينه القتال.

4 - مفاجأة العدو أرض المسلمين: فإذا فاجأ الكفار بلاد الإسلام تعين على كل أحد أن يقاتلهم، ولو لم يكن من أهل الجهاد كالمرأة والصبي وإذا عجزوا عن صدهم تعين على من بجوارهم من المسلمين أن ينضموا إليهم ويعينوهم.

ج - فرائضه:

1 - طاعة الإمام: فإذا طلب الخروج إلى جهة معينة للقتال فيها تعين الخروج إليها معه.

2 - ترك الغلول: وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمها.

3 - الوفاء بالأمان: فإذا أمن المسلم كافرا وجب الوفاء بأمانه، ولا يستباح دمه بعد ذلك.

4 - الثبات عند الزحف: فلا يجوز أن يفر مسلم واحد خوفا من كافرين لا يتفوقان عليه في نوعية السلاح.

د - أنواعه ينقسم الجهاد إلى ثلاثة أنواع هي:

1 - جهاد النفس: وهو الجهاد الداخلي للنفس البشرية ويسمى الجهاد الأكبر لصعوبة كبح النفس عن رغباتها الذاتية وصفاتها الذميمة، ثم حملها على الطاعة وممارسة العبادة.

2 - جهاد اللسان والقلم: وهو إرشاد الناس إلى ما يصلح دنياهم وآخرتهم بمحاولة تقويم المنحرف من سلوكهم، وإنارة الطريق أمامهم عن طريق الصدع بالحق في الخطب والمواعظ والصحف والمجلات وغيرها من وسائل النشر.

3 - جهاد العداة الكافرين والبغاة الخارجين عن طاعة الإمام وقتالهم بالوسائل الحربية المتاحة، ولا يكون ذلك إلا تحت إمرة إمام مسلم يوحد كلمة الناس ويجمعون أمرهم حوله.

ويجب قتال الكفار مع الإمام، البر والفاجر، أما البغاة فيجب قتالهم مع العدل، ويحرم مع الفاسق.

هـ - ضرورة استمراره: المقصود من الجهاد في سبيل الله هو دعوة الناس كافة إلى الإسلام، وإبلاغهم أمر رسالته وذلك بتحطيم القيود والحوازر المنافية للفترة والتي تحول دون حرية الإنسان في اختيار معتقده السليم، ليتحرر من المعتقدات الموروثة التي يقول أصحابها: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ سورة الزخرف، فمهمة الإسلام إذاً هي إخراج الناس من عبادة غير الله إلى عبادة الله وحده ليتحقق الهدف الأسمى وهو توحيد الله تعالى وتحرير الناس من عبادة غير الله قال

تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ إِنْتِهَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (39) سورة الأنفال، وقال صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل) متفق عليه.

فالجihad فرض على المسلمين في كل زمان متى كان باستطاعتهم مواجهة الكفار من حيث العدد والعدة قال تعالى: ﴿الَّذِينَ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَّمَ رَبُّكُمُ فِيكُمْ ضُعْفًا فَإِنْ تَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (66) سورة الأنفال، فعلى المسلم أن يكون دائماً واضعاً نصب عينيه أمر الجهاد في سبيل الله، ومستعداً له متى دعا داعيه، لحديث أبي هريرة (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق) رواه مسلم.

ففرصة الجهاد مستمرة إلى يوم القيامة، وسوف يجاهد المسلمون مع نبي الله عيسى عليه السلام بعد نزوله قرب الساعة، حيث يقاتلون الكفار حتى تطهر الأرض أدران الشر والطغيان.

و- **فضله**: الجهاد هو سنام الإيمان، وهو السور الحامي للإسلام، ولذا فإن جزاء المجاهدين عظيم عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآثَرِ الْجَنَّةِ يَفْعَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ مِنْ أَوْفَى بَعْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبَشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفؤاد العظيم﴾ (111) سورة التوبة، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (169) سورة آل عمران، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها) صحيح مسلم.

استخلاص:

- 1 - الجهاد الشرعي هو قتال المسلمين للكفار قصد إعلاء كلمة الله تعالى.
- 2 - الجهاد فرض على الذكر الحر البالغ العاقل إذا قدر عليه وهو فرض كفاية على المسلمين عموماً، ويكون فرض عين في الحالات التالية: (فك أسرى المسلمين - النذر - استنفار الإمام - مفاجأة الكفار أرض المسلمين).
- 3 - فرائض الجهاد أربعة يجب على كل مقاتل أن يمتثلها وهي: طاعة الإمام - ترك الغلول - الوفاء بالأمان - الثبات عند الزحف.
- 4 - ينقسم الجهاد إلى ثلاثة أقسام:
 - أ - جهاد النفس والشیطان ويسمى الجهاد الأكبر.

ب - الجهاد باللسان والقلم عن طريق الخطب والمواظب ووسائل النشر، وغيرها من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة.

ج - قتال الكفار أو البغاة الخارجين عن طاعة الإمام فيجب قتال الكفار مع كل قائد عدل أو فاسق، أما البغاة المسلمون فلا يقاتلون إلا مع العدل.

5 - فريضة الجهاد مستمرة إلى يوم القيامة متى قدر المسلمون على مواجهة أعدائهم الكفرة، من حيث العدد والعدة، وسوف يقاتل المسلمون مع عيسى عليه السلام قرب الساعة حتى يظهروا الأرض من أدران الكفر.

6 - الجهاد من أعظم القربات، لأن المجاهد باع نفسه وماله لله، فهو إذن سنام الإيمان، كما أنه درع الإسلام الواقى الذي يمنع من نيل أعدائه منه.

المناقشة:

- 1 - عرف الجهاد لغة وشرعا وبين حكمه ودليله.
- 2 - متى يكون فرض عين ومتى يكون فرض كفاية؟ وما دليل ذلك؟
- 3 - ما شروط وجوب الجهاد على المسلمين؟
- 4 - ما ذا نعني بجهاد النفس؟ ولماذا سمي جهادا أكبر؟
- 5 - ما وسائل الجهاد باللسان؟
- 6 - ما الفرق بين قتال الكفار وقتال البغاة؟

الدرس الرابع والخمسون أحكام الأسرى وصلاة الخوف

المنطلق:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَنتَحَمْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ (4) سورة محمد.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (102) سورة النساء.

شرح الكلمات والعبارات:

أَنْتَحَمْتُمُوهُمْ : انهكتموهم بالأسر و القتل.
وَحُذُّوا حِذْرَكُمْ : من العدو واحترزوا منه.
مُهِينًا : يهينهم ويخزيهم.

التعليق:

أولاً: الأسر

أ - تعريف الأسر: الأسرى هم الجانب البشري من الغنائم، ويشمل الرجال المقاتلين والنساء والصبية إذا وقعوا في أيدي المسلمين بعد القتال.

ب - حكمه: يختلف الأسر باختلاف أحوال الأسرى، وهم ينقسمون إلى قسمين:

1 - رجال الكفار المقاتلين: وهؤلاء يخير الإمام فيهم بين خمسة أمور تبعاً لما يراه من المصلحة العامة للمسلمين والأمور هي:

- القتل إن كانت في ذلك مصلحة، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط يوم بدر، وأبي عزة الجمحي يوم أحد.

- الاسترقاق : فقد استرق الخلفاء الراشدون أسرى الكفار معاملة لهم بالمثل .
- ضرب الجزية : وهي إطلاق سراح الأسير مقابل مبلغ محدد من المال يسدده سنويا للمسلمين .

- الفداء : ويكون بالمال أو بالأسرى المسلمين (تبادل الأسرى).
- المَنُّ : وهو إطلاق سراح الأسرى مجانا بدون مقابل، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل مكة يوم الفتح حيث قال لهم : (اذهبوا فأنتم الطلقاء).

2 - النساء والأطفال: وهؤلاء لا يجوز قتلهم ولا ضرب الجزية عليهم بل يجوز استرقاقهم، وقبول مفاداتهم.

ولا يقتل أحد من الكفار بعد إعطائه الأمان من القتل لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَإِنِذِ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ سورة الأنفال.

ولا يشترط في الأمان أن يكون صادرا من السلطان، بل يمكن أن تؤمن المرأة والصبي الذي يعقل الأمان، أي يعرف أن نقض الأمان حرام معاقب عليه والوفاء به واجب يثاب عليه.

هذا فيما يخص الأفراد، أما أهل الناحية وأهل البلد فلا يعقد لهم الأمان إلا السلطان، وإن عقده غيره فله نقضه إن شاء.

ولا يؤسر الرهبان والأخبار إذا انقطعوا عن أهل ملتهم في معابدهم ولم يعينوهم على المسلمين في تدبير أو مشورة... ويترك لهم من الأموال ما يكفيهم.

ثانيا: صلاة الخوف

أ - تعريفها: هي الصلاة التي تؤدي وقت الحرب على نحو مخصوص.

ب - حكمها: صلاة الخوف سنة إن كانت في قتال مأذون فيه، وأمكن تقسيم الجيش طائفتين.

ج - كيفيتها : يقسم الإمام الجيش طائفتين : طائفة تصلّى وطائفة تواجه العدو، فيصلّي بالأولى ركعة واحدة إذا كانت الصلاة ثنائية وركعتين إذا كانت رباعية أو ثلاثية، ثم يبقى الإمام واقفا في محله إذا كانت الصلاة ثنائية وجالسا إذا كانت غير ذلك، حتى تتم الطائفة الأولى صلاتها فإذا وبعد إتمامها تنصرف إلى العدو، ثم تأتي الطائفة الثانية فيصلّي بها ما بقي من الركعات، فإذا سلم قامت لقضاء ما فاتها وصور صلاة الخوف كثيرة منها ما رواه سهل بن أبي حثمة: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه في الخوف فصفهم خلفه صفين فصلّى بالذين يلونه ركعة ثم قام ولم يزل قائما حتى صلى الذين خلفهم ركعة ثم تقدموا وتأخر الذين كانوا أمامهم فصلّى

بالصف الثاني ركعة ثم قعد حتى صلى الذين تخلفوا ركعة ثم سلم) رواه مسلم.

استخلاص:

- 1 - نعني بالأسرى رجال الكفار المقاتلين ونساءهم وذرياتهم، إذا وقعوا في أيدي المسلمين في القتال.
- 2 - يخير الإمام في الأسرى المقاتلين بين (القتل، أو الاسترقاق، أو ضرب الجزية، أو المفاداة، أو المن تبعاً للمصلحة العامة للمسلمين).
- 3 - لا يقتل نساء الكفار ولا ذرياتهم، ولا تضرب عليهم الجزية، بل يجوز استرقاقهم، أو قبول الفداء منهم.
- 4 - لا يقتل الأسرى بعد إعطائهم الأمان من طرف أي فرد مميز من المسلمين، إلا أن تأمين أهل البلدة أو الناحية خاص بالإمام.
- 5 - لا يؤسر الرهبان والأحبار، ولا يقتلون إذا انقطعوا للعبادة ولم يساعدوا أهل دينهم في قتال ولا مشورة.
- 6 - صلاة الخوف هي الصلاة التي تؤدي في وقت الحرب، وهي سنة إن كانت في قتال مشروع، وأمكن تقسيم الجيش.
- 7 - كيفية صلاة الخوف أن يقسم الإمام الجيش قسمين يصلي بأحدهما جزءاً من الصلاة ثم يتموا ثم ينصرفوا إلى العدو، ثم يأتي القسم الآخر ويصلي به بقية الصلاة، فينال الجميع فضل صلاة الجماعة.

المناقشة:

- 1 - عرف الأسر، وبين دليله.
- 2 - ما الذي يفعل الإمام بأسرى الكفار رجالاً ونساءً وصبياناً؟
- 3 - من يُقبل أمانه من المسلمين بالتفصيل؟ وما الذي يترتب على الأمان؟
- 4 - ما موقف المسلمين من الأحبار والرهبان وشيوخ الكفار؟
- 5 - عرف صلاة الخوف وبين حكمها ودليله، وكيفيتها؟
- 6 - ما الحكمة الظاهرة لنا في صلاة الخوف جماعة إذا عرفنا أن صلاة المقاتلين أفذاذاً أسهل وأكثر ملاءمة في الظاهر لظروف الحرب؟

الدرس الخامس والخمسون الغنيمة والجزية والمعاهدة

المنطلق:

- قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (41) ﴿سورة الأنفال.

- قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (29) ﴿سورة التوبة.

- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجهه إلى اليمن أمره أن يأخذ من كل حالم دينارا أو عدله من المعافر) رواه أبو داود.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (61) ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (62) ﴿سورة الأنفال.

شرح الكلمات والعبارات:

دينَ الْحَقِّ : الذي هو الإسلام.
المعافر : نوع من الثياب اليمينية.

التعليق:

أولا: الغنيمة

أ - تعريفها: الغنيمة في اللغة ما يناله الإنسان بدون مشقة.

وفي الاصطلاح: هي المال المأخوذ من أعداء الإسلام عن طريق الحرب.

ب - حكمها: ما غنم المسلمون من أموال الكفار بعد تعب ومشقة في الحرب فلإمام خمسه يضعه في بيت مال المسلمين ليصرفه في مصالحهم من شراء سلاح وغيره حسب ما يراه، وإن شاء أعطاه لآل البيت أو لغيرهم أو قسمه بينهم وبين غيرهم والباقي يقسم بين المقاتلين.

أما الأرض فإنها لا تخمس ولا تقسم، بل توقف ويصرف خراجها في مصالح المسلمين.

ج - الفرق بين الغنيمة والفيء: ما أخذه المسلمون من الكفار بقتال يسمى غنيمة، وهو الذي يُخمس، وأما ما أخذ بدون غزو أو قتال فيسمى فيئا، والنظر فيه للإمام،

إذ حكمه نفس حكم خمس الغنيمة، إن شاء صرفه جميعه في مصالح المسلمين وإن شاء قسمه.

د - تقسيم الغنيمة: يقسم الإمام الغنيمة على المقاتلين، وينبغي أن يكون ذلك ببلاد الحرب وقبل العودة إلى الديار، إذا أمنت كرة الكفار، ويسهم لمن تخلف عن القتال لانشغاله بأمر من أمور المسلمين ككشف الطريق، ولمن ضل عن الجيش لأنه كان بنية الغزو، ولمن مرض في أثناء القتال أو بعده، أما من مرض قبل حضور القتال فلا يسهم له. ويسهم للفرس الرهيص الذي أثرت الحجارة في حافره بنفس الشروط التي قدمنا في الإسهام للراجل سهم ولل فارس ثلاثة أسهم واحد له واثنان لفرسه. وللرجل سهم واحد وللصبي كذلك إذا أجازره الإمام وقاتل بالفعل، ولا يسهم للمجنون ولا للذمي.

هـ - الزيادة على السهم: يجوز للإمام أن يزيد من لهم أسهم من الغنيمة من أهل الجيش بمعنى أن يزيدهم زيادة عامة، كأن يقول لهم: من قتل قتيلا فله سلبه، أو يعطي بعضهم من الخمس مكافأة له على شجاعته وقوة بطشه بالأعداء، لما روى أنه صلى الله عليه وسلم أنفل يوم حنين من الخمس.

ثانيا: الجزية

أ - تعريفها: هي مبلغ من المال يوضع على من دخل في ذمة المسلمين وعهدهم من الكفار.

ب - قدرها: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفق بأهل الكتاب وعدم تكليفهم ما لا يطيقون، وهي دينار أو ما يعادله من المقومات، وقد زاد فيها عمر رضي الله عنه على أهل الشام فجعلها أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعين درهما على أهل الورق في كل سنة، وروى البخاري أنه قيل لمجاهد: ما شأن أهل الشام عليهم أربعة دنانير، وأهل اليمن عليهم دينار؟ قال جعل ذلك من قبل اليسار) رواه البخاري.

ثالثا: المعاهدة

أ - تعريفها: هي الاتفاق على ترك القتال فترة محددة من الزمن بين المتقاتلين، إذ لا بد للهدنة من أجل يحدده القائد تبعا للمصلحة العامة للمسلمين.

وقد عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركي مكة في عمرة الحديبية، واتفق معهم على وضع الحرب مدة عشر سنوات كما هو مفصل في دروس السيرة من هذا الكتاب وكان ذلك حقنا للدماء ورغبة في السلم.

ب - حكمها: تجوز الهدنة بأربعة شروط:

- 1 - أن يعقدها الإمام أو نائبه.
- 2 - أن تكون لمصلحة المسلمين.
- 3 - أن يخلو عقدها من شرط فاسد كتسليم مسلم للكفار أو دفع مال لهم.
- 4 - أن تكون محددة بأجل ويندب أن لا يزيد على أربعة أشهر.

ويجب على المسلمين الوفاء بها إلى أجلها ما لم ينقض الكفار العهد.

استخلاص:

أ - الغنيمة:

- 1 - الغنيمة هي المال الذي أخذ عن قتال أو غزو.
- 2 - الفرق بين الغنيمة والفيء هو أن الغنيمة هي ما أخذ من الكفار بقتال أما الفيء فهو ما أخذ بدون قتال.
- 3 - يترك خمس الغنيمة وجميع الفيء للإمام ليتصرف فيهما بحسب ما يراه مناسباً من مصالح المسلمين ... أما الأخماس الأربعة للغنيمة فتقسم على المقاتلين ومن تخلف عن المعركة لأمر طارئ أو للسهر على أمر من أمور المسلمين.
- 4 - يجوز للإمام أن يزيد بعض أصحاب الأسهم على سهمه العادي مكافأة له على شجاعته وقوة بطشه بالأعداء.

ب - الجزية:

- 1 - الجزية قدر من المال يعطيه من دخل من الكفار في ذمة المسلمين وعهدهم... ولا تؤخذ إلا من الذكر الحر البالغ العاقل القادر على دفعها.
- 2 - فرض الإسلام الجزية على الذميين مقابل حماية المسلمين لهم والذب عن أموالهم وأعراضهم فيكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

ج - المعاهدة:

- 1 - المعاهدة هي وضع الحرب فترة محددة بين المتقاتلين، وقد عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركي مكة في عمرة الحديبية على وضع الحرب عشر سنين.
- 2 - تجوز للمسلمين مهادنة الكفار بالشروط الأربعة السابقة ويجب عليهم الوفاء بها في أجلها ما التزم الكفار بها.

المناقشة:

- 1 - عرف الغنيمة لغة واصطلاحاً، وبين مصرف خمس الغنيمة، ودليل ذلك.
- 2 - ما الفرق بين الفيء والغنيمة؟ وما مصرف ما عدا الخمس؟
- 3 - ما إذا يفعل الإمام بما أخذ من الكفار بدون قتال؟
- 4 - ما دواعي زيادة الإمام على السهم العادي من الغنيمة؟
- 5 - عرف الجزية، وبين دليلها من الكتاب والسنة.
- 6 - لم فرض الشرع الجزية على الكفار؟
- 7 - ما مقدار الجزية؟ وما سبب اختلاف هذا المقدار؟
- 8 - عرف الهدنة، وبين دليلها.
- 9 - متى تجوز الهدنة للمسلمين؟

الفهرس

3	تقديم
5	مقدمة
7	الإسلام - الإيمان - الإحسان
10	الإسراء والمعراج
15	الملائكة والكتب
18	خطر السحر
21	سورة «ق» الآيات (1-15)
24	سورة «ق» من الآية (16 - 29)
27	سورة «ق» من الآية (30 - 45)
30	سورة الذاريات: من الآية (1 - 23)
32	سورة الذاريات: الآيات (24 - 46)
34	سورة الذاريات الآيات (47 - 60)
36	سورة الطور الآيات (1-16)
38	سورة الطور الآيات (17 - 28)
40	سورة الطور من الآيات (29 - 49)
43	سورة النجم من الآية (1 - 25)
46	سورة النجم الآيات (26 - 41)
49	سورة النجم الآيات (42 - 62)
52	الدعوة إلى الله
56	خلق المسلم
59	الحث على الصدق والتحذير من الكذب
62	التيسير على المسلمين وتنقيس الكروب عنهم
65	صلة الرحم
67	الرحمة بالصغير وتوقير الكبير
72	ذم الحسد والبغض والغيبة والنميمة
75	التحذير من الرياء والسمعة
78	اجتناب الموبقات السبع
81	النهي عن الشحناء والقطيعة والتدابير
83	محاولة الكفار منع الهجرة
86	فشل مؤامرة المشركين ونجاح الهجرة
90	بداية تنظيم الدولة الإسلامية بالمدينة

93	بداية المواجهة بين المسلمين والمشركين
97	غزوة بدر الكبرى
102	غزوة أحد
106	غزوة الأحزاب (الخنق)
109	المواجهة بين اليهود والمسلمين في المدينة
113	مواقف المنافقين
116	صلح الحديبية
120	الصوم
123	أركان الصوم وشروطه ومندوباته
126	مكروهات الصوم ومفسداته ومبيحات الفطر و موجبات القضاء و الكفارة
130	فضل الصيام وآدابه
134	الزكاة
136	زكاة الماشية
139	زكاة الحبوب والثمار
141	زكاة العين والعروض والأوراق البنكية
144	زكاة الفطر ومصارفها
147	الحج والعمرة وأركانهما
151	واجبات الحج ومبطلاته
153	الأعياد الإسلامية
156	الأضحية والوليمة والعقيقة
160	الأطعمة
164	الذكاة والصيد
167	الكفارات في الإسلام
170	الجهاد أقسامه وفضله
174	أحكام الأسرى وصلاة الخوف
177	الغنيمة والجزية والمعاهدة
181	الفهرس

المعهد التربوي الوطني